الخطاب النبوي للنساء في ضوء نظريتي الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري- دراسة تداولية
وفاء عبد الغني بهلول علي
قسم أصول اللغة. كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة. جامعة الأزهر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الباحة
البريد الإلكتروني:
wafaa_2015_62@yahoo.com

الملخص

يهدف البحث إلىٰ دراسة الأبعاد التداولية للخطاب النبوي للنساء في ضوء نظريتي الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري، باعتبارهما من أهم إجراءات التداولية التي تدرس اللغة في سياق الاستعمال، وتنظّم الخطاب بين المتكلم والمتلقي.

وبتأمل النصوص النبوية الشريفة التي خاطبت النساء تبيّن دور الأفعال الكلامية ووظائفها التداولية داخل تلك النصوص، وكيف كان للاستلزام الحواري أثره في الكشف عن المعنىٰ المقصود والمعنىٰ السياقي، فتتبع البحث طرق سير المعنىٰ وحركته بين القول والقصد، وآليات انتقاله بين المعنىٰ المقصود والمعنىٰ المستلزم.

وقد قام البحث علىٰ مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة ففيها ماهية الموضوع، وأهميته، ودوافع اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطتها، وأهم الصعوبات التي واجهت الباحثة.

وأما التمهيد ففيه بيان الخطاب النبوي والتداولية، وأشهر نظرياتها ومفاهيمها الإجرائية (الأفعال الكلامية -الاستلزام الحواري -متضمنات القول – الإشاريات).

المبحث الأول: الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي للنساء

الأفعال الكلامية المباشرة (الإخباريات-التوجيهيات -التعبيريات-الوعديات-الإعلانيات).

- الأفعال الكلامية غير المباشرة.

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري في الخطاب النبوي للنساء

- أولًا: الانزياح الكمي، وفيه: انزياح الزيادة، وانزياح النقصان (الإبهام – الحذف).

- ثانيًا: الانزياح الكيفي.

- ثالثًا: انزياح المناسبة.

- رابعًا: انزياح الأسلوب

وتأتي الخاتمة لتحتوي أهم النتائج التي توصل إليها، والتوصيات التي ينادي بها، ثم يأتي ثبت المصادر والمراجع.

وينتهي البحث بفهرس لمحتوياته، وترجمة لملخصه باللغة الإنجليزية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب النبوي-التداولية-الأفعال الكلامية-الاستلزام الحواري-متضمنات القول – الإشاريات-الإخباريات-التوجيهيات- التعبيريات- الوعديات-الإعلانيات-الانزياح الكمي-الانزياح الكيفي-انزياح المناسبة-انزياح الأسلوب.

Prophetic speech for women
In light of the theories of verbal acts and dialogic imperative
Pragmatic study

Wafaa Abdel Ghani Bahloul Ali
Department of Language Origins - Fakultät für Islamische und Arabische Studien für Mädchen in Mansoura - Al-Azhar Universität - Ägypten
Emial: wafaa_2015_62@yahoo.com

Abstract

The research aims to study the deliberative dimensions of the prophetic discourse for women in the light of the theories of verbal acts and dialogic imperative, as they are one of the most important pragmatic procedures that teach language in the context of use, and the organization of discourse between the speaker and the recipient.

Reflecting on the noble prophetic texts that addressed women, it shows the role of verbal acts and their deliberative functions within those texts, and how the dialogic imperative had an impact on revealing the intended meaning and contextual meaning .

The research was based on an introduction, a preface, two sections and a conclusion, while the introduction contains the nature of the topic, its importance, the motives for its choice, previous studies, the study methodology, its plan, and the most important difficulties faced by the researcher.

As for the introduction, it contains a statement of the prophetic discourse and deliberativeness, and its most famous theories and procedural concepts (verbal acts - dialogic imperative - contents of saying - references).

First Section: verbal acts in the prophetic discourse of women, including.

-Direct verbal acts (news - expressive directives - promises - advertising).

-Indirect verbal acts.

Second Section: the dialogic imperative in the prophetic discourse for women

-First: quantitative displacement, in which: the displacement of the increase, and the displacement of the decrease (thumb - deletion).

Second: qualitative displacement.

.Third: the displacement of the occasion

.Fourth: Displacement of style

The conclusion comes to contain the most important findings and recommendations that he advocates, and then comes the bibliography of sources and references .

The research ends with an index of its contents and a translation of its abstract in English

Key words: prophetic discourse - deliberative - verbal acts - dialogic imperative - saying implications - signs - news - directives - expressions - promises - declarations - quantitative displacement - qualitative displacement - displacement of the occasion - displacement of style.

المقدمة

الحمد لله علىٰ ما أفاء من الخير وهدىٰ للإيمان، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله المؤيد بالفرقان وفصيح البيان، وعلىٰ آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه باللسان والسنان، وعلىٰ السالكين آثارهم والمتبعين لهم بإحسان.

وبعد:

فإن الخطاب النبوي يختلف عن غيره من الخطابات في المرجعية؛ إذ يكتسب سلطته من مصدره الإلهي، فهو وحي من الله، يقول تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤]، وما كان من عند الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن مقياسه، فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندرك أثره.

كما أنه يختلف عن غيره من الخطابات في القيمة التبليغية والإقناعية؛ فيهدف إلىٰ إبلاغ الإنسان وتوجيهه إلىٰ ما ينفعه علىٰ مستوىٰ العقيدة والوعي، والقيم والسلوك، وكل ما يحقق له الخير في الدارين، وقد حظيت المرأة بنصيب وافر من هذا الخطاب النبوي، فعني بها، وأظهر الاهتمام بشؤونها العامة والخاصة، وبما يصدر عنها من أقوال وتصرفات، فأنار لها الطريق، وهداها إلىٰ سواء السبيل.

إن خطاب النبي (ﷺ) قيل بلغة طبيعية شفهية تواصلية، خالية من التكلّف والتعقيد، وبما يتناسب مع الأحداث والمواقف التواصلية والوجودية، ومن ثمّ اتخذت التداولية منه ميدانًا للبحث واستجلاء المعاني المؤداة، والكشف عن مقاصده، وفق ما فيها من أفعال كلامية، واستلزام حواري، وإشاريات، .....، وغيرها من الإجراءات التي وجدت لها مصاديق في الخطاب النبوي، لا سيما في خطابه الشريف للنساء.

ومن هنا كان البحث محاولة للوقوف علىٰ بعض الخصائص التداولية وسماتها في

هـذا الخطـاب، والكشـف عـن الكفـاءة التداوليـة التـي امتلكهـا رسـول الله (ﷺ)، ورُسِمَت خارطة طريقه من خلال عنوانه: **" الخطاب النبوي للنساء في ضوء نظريتي الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري دراسة تداولية "**.

وتأتي أهمية هذا البحث، ودوافع اختياره إلىٰ القناعة باحتياج الدراسات التطبيقية في ضوء النظريات التداولية إلىٰ التعامل مع الخطاب النبوي، لاسيما خطابه (ﷺ (للنساء، فلم يدرس موضوع البحث – حسب اطلاعي- بهذه الصورة، ولاريب في أن هذا الخطاب يمثل مادة خصبة لتلك الدراسات، إذ يحوي نصوصًا تحمل أفعالًا كلامية، وعناصر إشارية، وحجاج، واستلزام حواري، ومتضمنات قول، وغيرها من العوامل الإجرائية التي تخدم الدرس التداولي.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التداولي القائم علىٰ الوصف والتحليل، فقام بتتبع الأحاديث النبوية الشريفة التي وجهت للنساء، وتحليل آلية تداولها من خلال نظريتي الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري، وكيفية الإفادة من السياقات المختلفة التي أنجز فيها الخطاب النبوي، والعوامل التي جعلت منه رسالة تواصلية ناجحة.

أما عن الدراسات السابقة فتجدر الإشارة إلىٰ أن ثمة دراسات قريبة من الموضوع، كانت عونًا لي في إماطة اللثام عن بعض ما خفي عليَ، وكانت مدخلًا ولجت من خلاله إلىٰ الموضوع، فمنها ما تناول خطاب المرأة في القرآن الكريم إما علىٰ المستوىٰ البلاغي، أو الأسلوبي، أو التداولي، ومنها ما تناول الخطاب النبوي للنساء حديثيًا، أو موضوعيًا، أو في ضوء اللسانيات الاجتماعية، وكان من أهم هذه الدراسات ما يلي:

✍ **خطاب المرأة في القرآن الكريم دراسة تداولية**. يحيىٰ أحمد عبد الله صالح الأحمدي جامعة النيلين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٩٩٧م.

✍ **خطاب المرأة في القرآن الكريم دراسة بلاغية**. غدير سالم الشمايلة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٧م.

✍ **خطاب المرأة في القرآن الكريم دراسة أسلوبية**. بلال عبد الكريم علي الإبراهيم، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها ٢٠١٢م.

✍ **خطاب النبي (ﷺ) للمرأة المسلمة دراسة حديثية موضوعية**. عزيزة بنت لهيلم بن رحيل العنزي. رسالة ماجستير. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة القصيم، ٢٠١٧م.

✍ **الخطاب النبوي للنساء في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية**. دعاء يوسف جمعة سلامة. الجامعة الإسلامية. غزة. كلية أصول الدين. قسم الحديث الشريف وعلومه. ٢٠١٤م.

✍ **الخطاب النبوي للمرأة في ضوء اللسانيات الاجتماعية. صحيح مسلم نموذجًا**. محمود محمد عيسىٰ قدوم. رسالة ماجستير في اللغويات. الجامعة الهاشمية. ٢٠٠٩م.

وقد قام البحث علىٰ مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، أما **المقدمة** ففيها ماهية الموضوع، وأهميته، ودوافع اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطتها، وأهم الصعوبات التي واجهت الباحثة.

وأما **التمهيد** ففيه بيان الخطاب النبوي والتداولية، وأشهر نظرياتها ومفاهيمها الإجرائية (الأفعال الكلامية -الاستلزام الحواري -متضمنات القول – الإشاريات).

المبحث الأول: الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي للنساء

- الأفعال الكلامية المباشرة (الإخباريات-التوجيهيات التعبيريات-الوعديات-الإعلانيات).
- الأفعال الكلامية غير المباشرة.

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري في الخطاب النبوي للنساء

- **أولًا**: الانزياح الكمي، وفيه: انزياح الزيادة، وانزياح النقصان (الإبهام – الحذف).
- **ثانيًا**: الانزياح الكيفي.
- **ثالثًا**: انزياح المناسبة.
- **رابعًا**: انزياح الأسلوب

وتأتي **الخاتمة** لتحتوي أهم النتائج التي توصل إليها، والتوصيات التي ينادي بها، ثم يأتي ثبت **المصادر والمراجع**.

وينتهي البحث **بفهرس لمحتوياته**، وترجمة لملخصه باللغة الإنجليزية.

ولا شك أن العمل شابه بعض الصعوبات، فقد اقتضىٰ البحث تتبع النصوص والسياقات التي خصت النساء في الخطاب النبوي دون غيرها، كما استلزمت طبيعته أن يتعامل مع تلك النصوص علىٰ نحوٍ يجمع بين التراث والحداثة، مع الوضع في الاعتبار قدسية هذه النصوص، وما يترتب علىٰ ذلك من التحفظ الشديد، وانتقاء ما يناسب مستواها، الذي يسمو فوق غيره من النصوص بعد كتاب الله (ﷻ).

ولا يعدّ هذا البحث إلّا محاولة علىٰ الطريق، إن أصابها التوفيق، فبفضل الله وحده (ﷻ) وإن كانت الأخرىٰ فمني ومن الشيطان، وحسبي أجر الاجتهاد والعمل.

والله ولي التوفيق

التمهيد: الخطاب النبوي والتداولية

الخطاب النبوي

يمثل الخطاب النبوي ركنًا ركينًا من السنة النبوية، التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله عز وجل، وقد ورد الخطاب في المعاجم اللغوية متعلّقًا بالكلام؛ فهو عند ابن فارس: " كل كلام بينك وبين آخر "[١] وفي لسان العرب: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال"[٢].

" وإذا كان الخطاب عند العرب يرتبط بالجانب الشفهي أكثر من ارتباطه بالخطاب المكتوب؛ لاعتدادهم بفن الخطابة"[٣]، فإن بعلبكي يرىٰ أنه يعالج موضوعًا بشيء من التفصيل، شفويًا وتحريريًا [٤]

ويضيف الكفوي الجانب النفسي، الذي يعد إيماءً لعنصر السياق، فيعرف الخطاب بأنه "الكلام اللَّفْظِيّ أَو الْكَلَام النَّفْسِيّ الموجه نَحْو الْغَيْر للإفهام"[٥].

---

(١) مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس: ٢٩٥ باب الخاء والطاء وما يثلثهما، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٩٨٦م.

(٢) لسان العرب لجمال الدين محمد مكرم بن منظور:١/ ٣٦٠، ٣٦١ تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦م.

(٣) تحليل الخطاب اللغوي في رسائل الفرق الإسلامية في العصر الأموي. أمل بدر أحمد أبو صعيليك: ١٢ الجامعة الهاشمية، الزرقاء، ٢٠٠٧.

(٤) معجم المصطلحات اللغوية. رمزي البعلبكي: ١٥٣، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ١٩٩٠م.

(٥) معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسىٰ الكفوي: ٤١٩ تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

ويجمع طه عبد الرحمن معاني المتقدمين والمعاصرين في تعريفه مصطلح الخطاب، فيقول: "إن المنطوق به –أي الخطاب – الذي يصلح أن يكون كلامًا، هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمىٰ خطابًا؛ إذ حد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلىٰ الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا"(١)

هو كما يظهر عملية اتصال تتم في إطارين: إطار لغوي؛ فقد يكون متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة، ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين كما يحدث في الحوار أو غيره، وإطار غير لغوي يشمل العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق، كما أن الخطاب باعتباره حدثًا كلاميًّا يتألف من عدة عناصر هي: المرسل، والمستقبل أو الجمهور، والرسالة أو الموضوع، والهدف، الذي يؤثر تأثيرًا جليًّا في استراتيجية المرسل فيملي عليه اختيارات معينة من بين البدائل التي يتيحها النظام اللغوي، وقد يؤثر في صورة الحديث وطريقة بنائه، كما أنه يفسر الكثير من المتغيرات الأسلوبية التي ترافق عملية التعبير اللغوي (٢) .

والخطاب النبوي الشريف يستخدم–عند بعض الدارسين– للدلالة علىٰ جامع كلمه(ﷺ)، اعتمادًا علىٰ أن الخطاب هو كل كلام منطوق أو مكتوب، يفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار الملابسات التي صيغ فيها الخطاب(٣)، فهو يعالج موقفًا أو قضيَّة كلية أو جزئيَّة معالجةً تامة، في كلمات قلائل، يخاطب المسلمين والمؤمنين عبر الزمن، فلا يقتصر علىٰ الحاضرين المتلقين منه

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. طه عبد الرحمن: ٢١٥، المركز الثقافي العربي. المغرب. الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٨م.

(٢) الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والخطاب. محمد عبد الحميد عبد الواحد: ٧جامعة المدينة العالمية. كلية اللغات. قسم اللغة العربية. ماليزيا. ٢٠١٤م.

(٣) استراتيجيات الخطاب النبوي الشريف من خلال صحيح البخاري. نميسي آمال: ٥٠ دليل الآداب واللغات. مجلد:١، عدد:٢. الجزائر. ٢٠٢٢م.

شفاهة، إذ إنه خطاب شفاهي كتابي في آن واحد وهو خطاب موجه للشاهدين والغائبين في علم الله في المستقبل، ومن ثم كان من خصائص هذا الخطاب أن يتفرد بالاطراد والقبول والجدة، والاحتفاظ بالنضارة علىٰ مر العصور، مهما اختلفت سياقات تلقيه، وتفاوتت وتباينت مناحي دراسته[١]؛ لذلك ينطلق البحث عن خصوصيَّة لغة هذا الخطاب "من مُسلَّمة أساسيَّة مفادها قدرة هذا الخطاب علىٰ تحويل الآني، والتاريخي والنسبي -الاجتماعي- إلىٰ مجال المطلق والمتعالي والأزلي[٢] .

ومن هنا كان حرصه (ﷺ (علىٰ تبليغ كلامه بألفاظه حفاظًا علىٰ ديمومة هذه الخصوصيَّة، التي إذا انتقضت ألفاظها انتقضت معانيها وهياكلها الأسلوبية[٣] ، ومن ثمّ اتخذت التداولية منه ميدانًا للبحث واستجلاء المعاني المؤداة، والكشف عن مقاصده، وفق ما فيها من استلزام حواري، وأفعال كلام، وإشاريات، وحجاج، .....، التي وجد لكل منها مصاديق في الخطاب النبوي، لا سيما في خطابه الشريف للنساء، الذي انطلق في تقديره للمرأة، وتحديد حقوقها وواجباتها من أنَّها تقف مع الرجل علىٰ مستوىٰ واحد من التكريم والتكليف، ولعل ذلك يقودنا إلىٰ الوقوف علىٰ ماهية التداولية وأهم نظرياتها، وأبرز سماتها في الخطاب النبوي للنساء.

---

(١) الخطاب النبوي للمرأة في ضوء اللسانيات الاجتماعية. صحيح مسلم نموذجًا. محمود محمد عيسىٰ قدوم:٣ رسالة ماجستير في اللغويات. الجامعة الهاشمية. ٢٠٠٩م.

(٢) الخطاب والتأويل. نصر حامد أبو زيد: ١٠٧المركز الثقافي العربي. المغرب. الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م.

(٣) الخطاب النبوي للمرأة في ضوء اللسانيات الاجتماعية. صحيح مسلم نموذجًا. محمود محمد عيسىٰ قدوم:٤.

التـــداوليـــة

لقد حاول الدارسون أن يؤسسوا لها أطرًا معرفية غير أن التشعب الحاصل في منطلقاتها الفكرية جعل وجهات النظر تختلف فيها؛ إذ أنها ليست درسًا منكفئًا علىٰ نفسه، فهي تصدر مفاهيمها في اتجاهات متعددة، وتتدخل في قضايا كلاسيكية داخلية للفلسفة؛ فهي تلهم الفلاسفة، كما أنها مطالبة بشدة، ودون شك، بتجديد نظريات الأدب، .... ونكاد نرىٰ جيدًا علىٰ العكس من ذلك إلىٰ أي حدٍ تكون التداولية مفترق طرق غنية لتداخل اختصاصات اللسانيين، المناطقة، السيميائيين الفلاسفة، السيكولوجيين، فنظام التقاطعات هو نظام للالتقاءات والافتراقات[١] .

ويحاول البحث الوقوف علىٰ مفهومها وأهم نظرياتها التي تعالج اللغة وتفسرها؛ وتقصي أبعادها في الخطاب النبوي من خلال ذلك خطابه (ﷺ)للنساء.

التداولية لغة:

التداولية أو التداوليات أو البراغماتية أو البرجماتية أو الوظيفية أو السياقية... دوال متواترة في اللغة العربية في مقابل كلمة ((pragmaticus اليونانية ، المشتقة من Pragma)) وتعني الحركة أو الفعل [٢] ((Action، بيد أن مصطلح التداولية يظل الأكثر استعمالًا وشيوعا بين الباحثين؛ إذ هي من تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب، أي التفاعل القائم بينهما في استعمال اللغة، وأول من استخدم مصطلح (التداوليات) مقابلًا للمصطلح الأجنبي (Pragmatics) في العالم العربي

---

(١) المقاربة التداولية. فرنسواز أرمينكو. ترجمة: د. سعيد علوش: ٨، ٩، مركز الإنماء القومي. الرباط. ١٩٨٦م.

(٢) في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء. نواري أبو زيد:١٨، بيت الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.

الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن، لأنه – كما يرىٰ – يوفي المطلوب حقه، بالنظر (الاستعمال) و(التفاعل) معًا[١]، وهو مصطلح مركب من وحدتين إحداهما معجمية "تداول" والأخرىٰ صرفية "ية " دالة علىٰ مصدر صناعي[٢] .

وفي معنىٰ (د و ل) يقول الجوهري: " يقال: صار الفَيْءُ دُولَةً بينهم يَتَداوَلونَهُ، يكون مرّةً لهذا ومرّةً لهذا[٣] ، ويقول ابن فارس: تداول القومُ الشّيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلىٰ بعض[٤] ، وفي المعجم الوسيط: " ويقال تداول القوم الأمر[٥] ، وفي المعجم الاشتقاقي المؤصل: " ومن ذلك المعنىٰ الأصلي الفعل القاصر (دال) الثوب يدول: بلي، تحول من الجدة إلىٰ البلىٰ[٦] .

---

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. طه عبد الرحمن: ٢٨، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م. وينظر: لسانيات النص مدخل إلىٰ انسجام الخطاب. محمد خطابي: ٢٩٧ المركز الثقافي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١م.

(٢) البعد التداولي في الخطاب القرآني (سورة يوسف نموذجًا). كاروان باقي عبد الكريم:٨٥٧ مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية.المجلد:٣، العدد:١ جامعة إسطنبول. تركيا. ٢٠٢٢م.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ه): (د و ل) ٤/ ١٧٠٠ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م.

(٤) مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (د و ل):٢/ ٣١٤ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر١٩٧٩م.

(٥) المعجم الوسيط المؤلف. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. إبراهيم مصطفىٰ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار (د و ل): ٣٠٤ الناشر: دار الدعوة.

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها. د. محمد حسن جبل: ١/ ٦٧٢ (د و ل) مكتبة الآداب. القاهرة، الطبعة الأولىٰ:٢٠١٠م.

والملاحظ أن الدلالة المعجمية لهذا المصطلح تفيد معنىٰ التحول والتعاقب والتناقل؛ "وتلك حال اللغة متحولة من حال لدىٰ المتكلم إلىٰ حال أخرىٰ لدىٰ السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا –بهذه المصطلحات الأخرىٰ، الذرائعية النفعية، السياقية، ... وغيرها"[1].

وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم بالمعني اللغوي لها، وذلك في موضعين، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[الحشر:٧].

التداولية اصطلاحًا:

ظهر مصطلح التداولية كما يعرفه الغرب بـ ((pragmatique لأول مرة سنة (١٩٣٨م)، علىٰ يد الفيلسوف الأمريكي شارل) وليام موريس Charles William Morris) حين استخدمه للدلالة علىٰ فرع من فروع ثلاثة اشتمل عليها علم العلامات، أو السيميائية (semiotics)، **وهذه الفروع هي:**

أ-**علم التراكيب**: الذي يدرس علاقة العلامات بعضها ببعض، في ظل نظام تواصلي ثابت (العلاقات الشكلية بين العلامات).

ب-**علم الدلالة**: الذي يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها

ج – **التداولية أو الاستعمال اللغوي**: التي تدرس علاقة العلامات بمستعمليها

(١) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. خليفة بوجادي:١٤٨ بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.

(العلاقات الموقفية بين العلامات)[١] .

ثم تطورت التداولية في العقد السابع من القرن العشرين علىٰ يد ثلاثة من الفلاسفة في جامعة أكسفورد، وهم (أوستين (JL.Austin وجون سيرل (J.R.Searle وجرايس H.P. Grice)).

وهؤلاء من فلاسفة اللغة الذين كان اهتمامهم بكيفية توصيل معنىٰ اللغة الإنسانية الطبيعية بواسطة إخبار مرسِل رسالة إلىٰ مستقبِل يفسرها، وهذا من صميم عمل التداولية، لكن الغريب في ذلك عدم استعمال مصطلح التداولية في أبحاث هؤلاء الفلاسفة الثلاثة[٢] .

ولأن التداولية تنهل من مشارب عدة، وتتنوع خلفياتها بين الفلسفية، والأدبية، واللسانية، والنقدية، والنفسية، والاجتماعية، ما جعلها تعرف عدة مصطلحات ومفاهيم متباينة، بين بسيط وموسع، وضيق وعام.

فتعرف التداولية في أبسط مفاهيمها-الذي لا تخرج تعريفات التداولية عنه-بأنها: "دراسة اللغة في الاستعمال in use، أو في التواصل [٣] " in interaction في حين أن أوسع تفسير لها: "دراسة الفعل الإنساني القصدي"[٤]، ودراسة التداولية

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة:٩ دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

(٢) المرجع السابق:٩.

(٣) المرجع السابق:١٤. يقول عيد بلبع: "ومن الواضح أن تعريفات التداولية جميعها ترتبط بفكرة الاستعمال التي ربما ترددت في التعريفات جميعها بشكل أو بآخر."ينظر: التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس. عيد بلبع: مجلة فصول، القاهرة، ربيع ٢٠٠٥م.

(٤) التداولية. جورج يول، ترجمة: قصي العتابي: ١٣٧الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٠م.

لاستعمال اللغة ليس من خلال دراسة البنية اللغوية ذاتها، وإنما من خلال دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها **كلامًا محددًا** صادرًا من **متكلم** محدد، وموجها إلىٰ **مخاطب** محدد، في **مقام تواصلي** محدد، محدد لتحقيق **غرض تواصلي** محدد"[١].

ويؤكد مسعود صحراوي أن معظم الباحثين يقرون أن قضية التداولية هي: "إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف علىٰ القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير (التداولية (من ثمّ جديرة بأن تسمىٰ علم (الاستعمال اللغوي)[٢] .

وقيل عن التداولية: "اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنىٰ بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولاسيما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق[٣] "وتشمل هذه المعطيات[٤]:

- معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.

- الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها.

---

(١) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي. مسعود صحراوي: ٢٦ دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٥م.

(٢) المرجع السابق:١٦، ١٧ .

(٣) البراغماتية وعلم التركيب. عثمان بن طالب:١٢٥، الملتقىٰ الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٨٥م.

(٤) البحث اللساني والسيميائي. طه عبد الرحمن:٣٠١-٣٠٣ ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ١٤٠٤ه.

إذًا، التداولية في الدرس اللغوي الحديث، منهج قائم علىٰ دراسة وظائف اللغة (عوامل لسانية -تركيبية، دلالية) أثناء عملية تخاطبية (عوامل تواصلية) تقتضي فاعلية المتكلمين والمستمعين (عوامل نفسية، وعوامل ثقافية) في ظل مواقف مقامية (عوامل اجتماعية) توحي بطبيعة المقاصد والأغراض الكلامية (عوامل براغماتية)، ويتم ذلك بناء علىٰ نظريات تحليلية خاصة (عوامل إجرائية)[١] .

أشهر نظريات التداولية ومفاهيمها الإجرائية

إذا كان الدرس التداولي في مجال التحليل اللغوي قد استقىٰ مبادئه من الفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاتصال، وعلم الاجتماع، فإن اللسانيات هي الأرض الخصبة التي نمت في كنفها نظريات التحليل الإجرائي[٢] ، ويمكن بيان أهمها بحسب الآتي:

أولًا: الأفعال الكلامية:

هذه الأفعال هي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب بجملة نعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل[٣] ، فليس التلفظ بالخطاب فعلًا تصويتيًا فحسب، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، وهذا ما يجعل الخطاب فعلًا بمجرد التلفظ به، وذلك كأن يقول رجل مسلم لامرأته: أنت طالق، أو يقول وقد بشر بمولود: سميته يحيىٰ[٤] .

---

(١) البلاغة والتداولية. هناء حلاسة:٤٣٤ مجلة كلية الآداب واللغات، العدد:٢٢جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٢م.

(٢) المرجع السابق:٤٣٤.

(٣) الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية. مسعود صحراوي:١٨٥ مجلة اللغة العربية، العدد:١٠ المجلس الأعلىٰ للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٤م.

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري ٧٤، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٤م. وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة:٤٣.

ويمكن تقسيم هذه الأفعال إلى:

١-أفعال إخبارية: تصف وقائع، وتكون صادقة أو كاذبة.

٢-أفعال أدائية: ننجز بها في ظروف ملائمة أفعال، ولا توصف بصدق أو كذب، ويدخل فيها: التسمية، والوصية، والاعتذار، والشكر، والمواساة، والنصح، والوعد، والتحدي، والإذن. إلخ[١].

وقد وجد "أوستن" -أحد فلاسفة اللغة المنظرين للتداولية -أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر:

١-الفعل اللفظي: يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنىٰ محدد وهو المعنىٰ الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

٢. الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنىٰ إضافي يكمن خلف المعنىٰ الأصلي. (كالتحذير من عمل شيء، أو رجاء عمل شيء...).

٣. الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أن يسعد أن يغضب ...)[٢] ٦٢. فعلىٰ سبيل المثال حين تقول أم لطفلها: "الكلب يعضّ" فإنها تنجز فعلًا قوليًا لفظيًا منطوقًا، وحين تقول الأم هذه الجملة فإنها تنطق تحذيرًا في الوقت نفسه، أي تنجز فعلًا إنجازيًا، وحين يختار الطفل طريقًا آخر فإن ذلك هو النتيجة والأثر للمنطوق نفسه[٣].

وقد تلقف "سيرل "Searle حصيلة أستاذه "أوستن"، فسعىٰ سعيه إلىٰ إكسابها

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة:٤٣، ٤٤.

(٢) البلاغة والتداولية. هناء حلاسة:٤٣٤ مجلة كلية الآداب واللغات، العدد:٢٢جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٢م.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة:٤٥، ٤٦.

نضجًا وضبطًا منهجيًّا، ومن ثم صياغتها ضمن نظرية محكمة، متداركا ما وقع فيه أستاذه من اضطراب في التصنيف، فارتكزت إعادته للتصانيف علىٰ عدد من المعايير هي:

- نص "سيرل" علىٰ أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرىٰ للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلًا يسمىٰ "دليل القوة الإنجازية"، يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في نظام الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم.

- الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر علىٰ مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضًا بالعرف اللغوي والاجتماعي[1].

وقد جعل "سيرل" الأفعال الكلامية خمسة أصناف:

- الاعلانيات (التوكيدات): تُلزم المتكلم بصحة محتوىٰ إخباري معين (الادعاء الإعلان....
- التوجيهات(الإرشادية): تُحدث تأثيرًا ما عبر فعل المستمع كـ (الأمر، والطلب، أو التوسل...
- الإلزاميات (التعهديات): تُلزم المتكلم بفعل مستقبلي كـ (الوعد، العرض، أو القسم...
- التعبيرات: تعبر عن حالة نفسية معينة (كالشكر، والاعتذار، والتهنئة...
- الإخباريات: يؤدي تنفيذها إلىٰ تناظر بين المحتوىٰ الإخباري والواقع كـ (تسمية

(١) نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية. محمود أحمد نحلة: ١٧٢، مجلة الدراسات اللغوية، مجلد: ١، العدد: ١، ١٩٩٩م.

المولود، أو تسمية السفينة...[١] .

ويميّز "سيرل" بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، فيرىٰ أن **الإنجازية المباشرة**: هي التي يكون معناها مطابقًا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة، والدالة علىٰ قصده بنص الخطاب، **أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة**: فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم[٢] . ولا يمكن للمخاطب أن يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد. وهذه المراحل الاستدلالية التي يمر بها الذهن هو ما تركز عليه الدراسة التداولية، مثال ذلك إذا قال شخص لآخر: هل تستطيع أن تناولني الملح؟

فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل علىٰ الاستفهام الذي يحتاج إلىٰ جواب، وهو مصدر بدليل للاستفهام(هل)، لكن الاستفهام غير مراد المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنىٰ فعل إنجازي مباشر، هو: ناولني الملح[٣] .

وقد لاحظ سيرل أن أهم البواعث للأفعال الإنجازية غير المباشرة هو التأدب في الحديث، كما أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة عند "سيرل" لا تدل هيئتها التركيبية علىٰ زيادة في المعنىٰ الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل "معنىٰ المتكلم"، وأن السامع يصل إلىٰ هذا المراد من خلال مبدأ التعاون الحواري عند جرايس، واستراتيجية الاستنتاج عند سيرل"[٤].

---

(١) التداولية من أوستين إلىٰ غوفمان. فيليب بلانشيه. ترجمة: صابر الحباشة:٦٦ دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٧م.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري:١٣٧ .

(٣) نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية. محمود أحمد نحلة: ١٧٩ .

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة:٥١ .

كما يرىٰ "سيرل" بأن هناك أمور تحكم الأفعال الإنجازية[١]:

١. اختلاف الترتيب بين الكلمات والأشياء، ويتعلق الأمر بالنسبة للآخرين بالحصول علىٰ مطابقة العالم للكلمات، فلتكن الكلمات الأولىٰ مثلاً إذن توكيدات، والثانية وعودًا أو أوامر...

٢. اختلافات بالنسبة لغاية الفعل.

٣. اختلافات تمس الحالة النفسية المعبر عنها.

٤. الاختلاف في حدة الالتزام المعبر عنه في التقديم وجهة الإنجاز.

٥. اختلاف مقياس أوضاع المتكلم والمستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل.

٦. الاختلاف في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم والمستمع.

٧. اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب والسياق الخطابي.

٨. اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي.

ثانيًا: الاستلزام الحواري

ويعد "الاستلزام الحواري" المصطلح الأشهر لهذه النظرية، وسمي بـ "الاستلزام المحادثي"[٢]، فيما اختار آخرون مصطلح "التضمين الحواري"[٣]، و"التلويح

(١) دور التداولية في الدرس اللغوي. أحمد شكيب بكري: ١٧ مجلة الأثر، العدد:٣٢، ديسمبر٢٠١٩م.

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل. آن روبول وجاك موشلار. ترجمة د. سيف اليد دغفوش، ود. محمد الشيباني: ٥٦ المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.

(٣) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي. محمد نظيف:١٦٥. أفريقيا الشرق. المغرب،٢٠١٠م وينظر: سورة الأنعام دراسة تداولية لأفعال الكلام والاقتضاء التخاطبي. نور وليد عبد صالح: ١٢١ الأردن، ٢٠١٣م.

الحواري" أو "التعريض"[١].

ترجع بدايات البحث فيه – وإن كانت ضاربة بجذورها في عمق الدرس البلاغي والأصولي – إلىٰ المحاضرات التي ألقاها هربرت" بول غرايس (H.D.Grice) 1913 – 1988م) في جامعة "هارفارد" سنة ١٩٦٧م، حيث قام تصور "غرايس" علىٰ أن المتخاطبين لا يحاولون فهم ما تعنيه الكلمات فحسب، بل فهم مقاصد قائليها شفاهة أو كتابة[٢] ؛ لأن الناس أثناء تواصلهم لغويا قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، بناء علىٰ مراعاة الملاءمة بين "ما يقال " وبين "ما يقصد"، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع، وقد يصل السامع إلىٰ مراد المتكلم في ظل ملاءمة مقامية تتيح وسائل تواصلية مضمونة، وبالتالي فإن "غرايس" أراد أن يقيم معبرًا بين ما يحمله القول من معنىٰ صريح، وبين ما تحمله الدلالة من معنىٰ متضمن، فنشأ بذلك مفهوم إجرائي حديث اصطلح عليه بـ "الاستلزام"، و الاستلزام حسب هذا المفهوم الإجرائي نوعان: " استلزام عرفي (L'implication conventionnelle واستلزام حواري" L'implication conversationnelle)[٣]

– **استلزام عرفي**: ما تعارف عليه أصحاب اللغة الواحدة من استلزام بعض الألفاظ

---

(١) نظرية التلويح الحواري. هشام إبراهيم عبد الله الخليفة:٨ مكتبة لبنان، ناشرون، ٢٠١٣م.

(٢) معرفة اللغة. جورج يول. ترجمة: محمد فراج عبد الحافظ:١٣٥ دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولىٰ،٢٠٠٠م.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة:٢٦، ٢٧.وينظر: البلاغة والتداولية. هناء حلاسة: ٤٣٨.

دلالات بعينها لا تنفك عنها.

- **استلزام حواري**: يمثل مقصود المتكلم؛ وهو دلالة يولدها السياق التواصلي، وبالتالي فهي تتغير بتغير السياقات التواصلية التي يرد فيها الكلام ذاته[1] .

كما اعتبر "غرايس" أن المتلقي لمقاصد المتكلم أثناء خطاباته قائم علىٰ أساس مبدأ عام يتحكم في نجاعة العملية التواصلية، واصطلح علىٰ هذا المبدأ بـ "مبدأ التعاون"؛ لأنه رأىٰ أن الحوار المثمر والمحادثة المفيدة لا سبيل إليها إلا التعاون فيما بين المتكلم والمتلقي بناء علىٰ مراعاة قواعد التخاطب[2] .

وصنف "غرايس" هذه القواعد تحت أربعة أحكام، وهي:

حكم الكم: يرتبط بكمية المعلومات التي يجب تقديمها أثناء التخاطب، ويتحقق بقاعدتين:

- اجعل إسهامك التخاطبي بالقدر المطلوب.
- لا تجعل إسهامك التخاطبي إخباريا أكثر مما هو مطلوب.

حكم الكيف: تضبط هذا الحكم مقولة عامة: "حاول أن تجعل إسهامك التخاطبي صادقا "، ويتجلىٰ ذلك في قاعدتين:

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.
- لا تقل ما تفتقر إلىٰ دليل كاف عليه.

حكم المناسبة (العلاقة): تضبط هذا الحكم مقولة عامة أيضًا هي "كن ملائمًا "؛ أي ليكن كلامك ملائمًا لمقام الخطاب، وذا علاقة مناسبة بموضوعه.

---

(١) التداولية عند العلماء العرب. مسعود صحراوي: ٣٤، ٣٥.

(٢) نظرية المعنىٰ في فلسفة بول جرايس. صلاح إسماعيل:٨٦-٨٨ دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

الطريقة (الجهة): ينظر "غرايس" إلىٰ هذا الحكم علىٰ أنه لا يرتبط بالكلام مثل الأحكام الأخرىٰ، وإنما يرتبط بكيفية نقله إلىٰ المتلقي، والقاعدة العامة التي تمثله هي "كن واضحًا "، وتندرج تحتها قواعد فرعية هي:

- اجتنب الغموض واللبس (كن دقيقًا).
- اجتنب الإطالة بغير ضرورة (كن موجزًا).
- اجتنب الخلط أثناء الكلام (كن مرتبًا)[١] .

ثالثًا: متضمنات القول

وهو مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من شروط إنتاج الخطاب، تحكمها الظروف العامة للخطابات نفسها[٢] ، ومن أهم هذه الظواهر ما يلي:

الافتراض المسبق (Pre-supposition): في كل تواصل لساني ينطلق المتخاطبون من معطيات أساسية معترف بها، ومتفق عليها فيما بينهم، حيث تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق نجاح العملية التواصلية، وهي محتواة ضمن السياقات والبنىٰ التركيبية العامة[٣] .

الأقوال المضمرة Les sons-entendus: ترتبط هذه الظاهرة بوضعية الخطاب ومقامه، علىٰ عكس الظاهرة السابقة التي يمكن تحديدها علىٰ أساس معطيات لغوية

---

(١) المقاربة التداولية. فرنسواز أرمينكو. ترجمة: د. سعيد علوش: ٥٤. وينظر: التداولية من أوستين إلىٰ غوفمان. فيليب بلانشيه. ترجمة: صابر الحباشة:٨٤، ٨٥.

(٢) التداولية عند العلماء العرب. مسعود صحراوي: ٣٠.

(٣) مدخل إلىٰ اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها. ترجمة: محمد يحياتن: ٣٤، ٣٥. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦م.

يولدها سياق ما.

ونتبين الفرق بين الظاهرتين من خلال العبارتين: "أغلق النافذة" أو "لا تغلق النافذة"؛ إذ يتمثل الافتراض المسبق ههنا في كون النافذة مفتوحة.

أما قول: "إنّ السماء ممطرة" لأحد يريد الخروج عبارة تفترض أقوالًا مضمرة تحددها ملابسات الخطاب، فيما إذا كان القائل أراد أن يدعوه إلىٰ المكوث في البيت، أو الانتظار والتريث حتىٰ يتوقف المطر، إن كان الخروج ليس لأداء عمل مهم.

أو الإسراع حتىٰ لا يصل متأخرًا، أو عدم نسيان المطرية عند الخروج إلىٰ العمل أو الدراسة إن كان الخروج ضروريًا.

إذن تبقىٰ قائمة التأويلات غير منتهية بحكم تعدد السياقات والطبقات المقامية التي قد ينجز ضمنها الخطاب، ويكمن الفرق بين الظاهرتين في أن الافتراض المسبق ينشأ بناء علىٰ معطيات السياق اللغوي، أما الأقوال المضمرة فتنشأ بناء علىٰ ظروف الخطاب وملابساته الخارجية[1] .

رابعًا: الإشاريات

تعد الإشاريات من أبرز المفاهيم التداولية التي أسهمت في تحليل الخطاب، وتسمىٰ بتداولية الدرجة الأولىٰ[2]، وهي مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي

---

(١) التداولية عند العلماء العرب. مسعود صحراوي: ٣٢.

(٢) تتنوع الإشارايات التداولية لتشمل ضمائر المتكلم والمخاطب (أنا/ نحن، وأنتَ أنتِ/ أنتم أنتن) والوحدات الدالة علىٰ الزمن (الآن وغدًا وأمس) أو المكان (هنا، هناك)، والأزمنة الفعلية، وتشترك هذه الوحدات في أن معناها لا يتحدد إلا عند الاستعمال انطلاقًا من نقطة ارتكاز يجسمها إلقاء المقول. ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، وآن ريبول: ١١٠، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م. وينظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. خليفة بوجادي: ٧٩، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.

تحيل مباشرة إلىٰ المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط به معناه من ذلك: (الآن) ،(هنا)، (أنا)، (أنت)) ((هذا)، (هذه)... وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلىٰ موضوعها بالإشارة إليه(١)، وهي ضرورية جدًا في العملية التواصلية لا يمكن التخلي عنها، إذ توجد في أي نص من النصوص، وأهم ما يميز تلك الإشاريات شدة احتياجها لسياقها الذي قيلت فيه، إذ يعد مفسراً لها وموضحًا لما استغلق منها(٢).

ذكر قسم من العلماء أن الإشاريات نوعان:

١- **عنصر إشاري معجمي يشير إلى** لفظ دال علىٰ ذات أو معنىٰ مجرد، مثل: علم الشخص أو الزمان او المكان أو الصفة .... إلخ.

٢- **عنصر إشاري نصي يشير إلى مقطع كامل**، جملة أو جمل متوالية، ويمكن أن يدل علىٰ الفضاء العام للنص، والعنصر هنا لا يدل علىٰ مجموعة من المعاني العامة والأحداث المفهومة من جمل كثيرة، ويمثل ذلك ما ورد في الإشارة الموسعة، والأمثلة الواردة من القرآن الكريم في لفظ (ذلك)(٣) .

وذهب قسم آخر من العلماء في تقسيم الإشاريات إلى عدة أنواع تشتمل على:

١- **الإشاريات الشخصية:** هي الإشاريات الدالة علىٰ المتكلم وحده، مثل: أنا، أو المتكلم ومعه غيره، مثل: نحن، والضمائر الدالة علىٰ المخاطب مفردًا أو

---

(١) نسيج النص بحث فيما يكون الملفوظ به نصًا. الأزهر الزناد: ١١٦، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٣م.

(٢) المقاربة التداولية. فرنسواز أرمينكو. ترجمة: د. سعيد علوش:٤٤، وينظر: التداوليات علم استعمال اللغة. حافظ اسماعيلي علوي: ٤٤٥ عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع. إربد. الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.

(٣) الإحالة في نحو النص. أحمد عفيفي:٥٥٥، ٥٥٦، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية: العربية بين نحو الجملة ونحو النص. كلية دار العلوم ٢٢-٢٣ فبراير، ٢٠٠٥م.

مثنىٰ أو جميعًا، مذكرًا أو مؤنثًا، وهي إما وجودية أو ملكية[١] .

٢- **وتتضح أهمية الضمير الإشاري في قول القائل:** "في مكتبتي بالمنزل وضعت سيبويه في مكان واضح، إنه مفيد للباحثين" إن الضمير في "إنه" لا يعود إلىٰ سيبويه، إنما يعود إلىٰ ما يُفهم من كلام سيبويه، وهو كتابه الشهير؛ إذ لا يعقل أن يكون سيبويه هو الموضوع في المكتبة وبقليل من المعرفة يتأكد ذلك. ومن ثم فإن الإحالة إلىٰ الأعلام بشكل مباشر تيسر فهم الإحالة دائمًا بحيث يمكن الاستبدال[٢] .

٣- **الإشاريات الزمانية:** هي الإشاريات الدالة علىٰ زمن الحدث، ومنها الزمان النحوي (زمن الفعل في تركيبه)، والزمان الكوني (الأيام، الأشهر، السنوات)، وقد يتطابقان في سياق الكلام وقد يختلفان، فتستخدم صيغة الحال للدلالة علىٰ المضي، وصيغة المضي للدلالة علىٰ الاستقبال، فينشأ بينهما صراع لا يحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة؛ فالزمن النحوي لا يطابق الزمن الكوني في كثير من أنواع الاستعمال(٣) .

4- **الإشاريات المكانية:** تسهم الإشاريات المكانية في فهم المعنىٰ، والوصول إلىٰ مقاصد المتكلم، وتأويل الخطاب تأويلًا صحيحًا، وهي عناصر إشارية إلىٰ أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها علىٰ معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة:١٧، ١٨ وينظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي. نادية رمضان النجار:٩٠ مؤسسة حورس الدولية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٣م.

(٢) الإحالة في نحو النص. أحمد عفيفي:٥٤١.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة: ٢١.

علىٰ مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربًا أو بعدًا أو جهة(١).

كما أن تحديد المرجع المكاني مرتكز علىٰ تداولية الخطاب، وهو ما يؤكد أهمية استعماله لمعرفة مواقع الأشياء، ويتضح ذلك في خطاب السائق عندما يهاتف صديقه ليبلغه عن مكان وجوده بقوله: " تقع الجامعة علىٰ يميني" فلا يمكن تحديد قصد المتكلم الحقيق إلا بتحديد مكانه، واتجاهه أثناء السياق الاستعمالي الملفوظ (٢).

1- **الإشاريات الاجتماعية** : هي إشاريات العلاقة المجتمعية، إذ بهذا النوع من الإشاريات تتضح طبيعة العلاقات بين المتخاطبين من حيث هي علاقة ود وألفة، أو علاقة كره وبغض، أو من حيث هي علاقة رسمية أو أخوية(٣).

2- **الإشاريات الخطابية أو النصية**: هي نوع من الإشاريات مهمتها إضفاء الاستمرارية علىٰ النصوص ومواصلة الخطاب بألفاظ موجودة في النص ذاته مثل: (علىٰ أية حال، في الواقع، ما يأتي مع ذلك.... ومما يميزها عن غيرها من أنواع الإشاريات أنها لا تحتاج إلىٰ مرجع، بل إنها تخلق مرجعها بنفسها(٤).

3- **الإشاريات الموقفية**: يمكن أن نطلق عليها اسم (الوسائل المساعدة ، أو الوسائل المصاحبة للنص)؛ لأنها وسائل غير نصية ترافق النصوص، وهي إشارية في الوقت نفسه، مثل حركة اليد والعين، وتعبيرات الوجه المختلفة، ونغمة الصوت

---

(١)آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢١.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري:٨٤، ٨٥.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة: ٢٥.

(٤) البرجماتية اللغوية. ستيفن.ك.ليفنسون. ترجمة: سعيد حسن بحيري: ١٢٩الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٥م.

ونبرته، ووسائل خطية معينة كعلامات التأثر والاستفهام، والكتابة بحروف كبيرة أو غامقة في الإنترنت، أو الرموز الحديثة في الإنترنت لعناصر خاصة بالإشاريات الموقفية مثل الوجه الضاحك أو الوجه الغاضب وغيرها من الرموز الشائعة(١).

وعطفًا على ما سبق من الإشارة إلىٰ مفهوم التداولية، وتناول أهم قضاياها ونظرياتها فإنه يجدر بنا الوقوف علىٰ نماذج من الخطاب النبوي للنساء في محاولة لتطبيق هذه النظريات، وبيان كيف كان هذا الخطاب النبوي مجالًا خصبًا لإبراز اهتماماتها وأهدافها.

(١) علم اللغة البراجماتي الأسس التطبيقات المشكلات. بيتر أرنست. ترجمة: سعيد حسن بحيري: ٩١، ٩٣ مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٤م. وينظر: رسائل الأدباء إلىٰ الخلفاء والوزراء والأمراء حتىٰ نهاية القرن الرابع الهجري دراسة تداولية. رحاب فيصل عبد الوهاب: ٨٧ دار نيبور، العراق، ٢٠٢٢م.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي للنساء

إذا كان لـ "أوستن" الفضل في إرساء نظرية الأفعال الكلامية، فإن لـ "سيرل" الفضل في تطوير مفاهيمها، لا سيما الفعل الإنجازي؛ لأن له قوة تأثيرية في التواصل، فقد نص "سيرل" علىٰ أن الوحدة الصغرىٰ للاتصال اللغوي هي "الفعل الإنجازي"، وأن لكل قوة إنجازية دليلًا، يسمىٰ "دليل القوة الإنجازية"، وهو بدوره يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم أثناء نطقه للكلام، وتتمثل – في اللغة الإنجليزية–في النبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم[1] ، والفعل الكلامي عنده ذو صلة بالعرق اللغوي والاجتماعي[2] .

كما وضع سيرل الحدود الواضحة للتمييز بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، التي يكمن الفرق بينهما في أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة ملازمة لها في جميع المقامات، أما القوة الإنجازية في الأفعال غير المباشرة فتوكل إلىٰ المقام ولا تبرز قوتها الإنجازية إلا فيه. كما أن القوة الإنجازية المباشرة لها نصيب من اسمها في مباشرة أخذها من دلالة اللفظ نفسه وعلىٰ العكس حين تصل القوة الإنجازية غير المباشرة من خلال العمليات الذهنية الاستدلالية[3] .

وبناءً علىٰ ما ذُكر في الخطاب النبوي للنساء من الأفعال الكلامية في مواطن التقرير، والتوجيه، والتعبير، والإعلان، والوعد، والنفي، والاستفهام فإن النبي (ﷺ) كان خير موجّه ومرشد لكل من تلقَّىٰ منه وسمع، وصار حديثه نصًا مقدسًا يواءم دعوته التي كانت للبشر كافة، ورسالته التي كانت ختام الرسالات إلىٰ قيام الساعة.

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة: ١٠٨، ١١٧.

(٢) مدخل إلىٰ اللسانيات التداولية. ترجمة: محمد يحياتن: ٢٩.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة: ١٠٨، ١١٧.

أولًا: الأفعال الكلامية المباشرة

١- الإخباريات

ويصف بها المتكلم تقرير حقيقة لقضية ما، وينقل بها ظاهرة واقعة معينة، وشرط الإخلاص فيها أن يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها. وإذا تحققت الأمانة في النقل فقد تحقق شرط الإخلاص وأنجزت الأفعال إنجازًا ناجحًا أو تامًا وإلا أخبارًا لا معنىٰ لها[1] .

فالتعهد للمخاطب بحقيقة الخبر ما يعين علىٰ إنجاز الفعل الكلامي، ولا أصدق من حديث رسول الله (ﷺ)، فهو المعصوم من الخطأ والنسيان، فكل ما أخبر به من الغيبيات كان من الوحي المحقق.

وقد وردت الأفعال الإخبارية في الخطاب النبوي مع النساء لتقرر حقائق تشريعية، وتؤكد تعاليم إسلامية، من ذلك:

* حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) زَوْجَ النَّبِيِّ (ﷺ) كَانَتْ لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّىٰ تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّب»؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يسيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] قَالَتْ: فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِش الحساب يَهْلِكُ»[2].

---

(١) الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية باب الذكر والدعاء أنموذجًا. حورية رزقي عبد الحق: ٥٩ جامعة محمد خيضر، ٢٠٠٦م.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»، في كتاب العلم، باب مَن سَمِعَ شيئًا فلم يفهمه فراجع حتىٰ يعرفه: ١/ ٥١ [١٠٣] ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسننه وأيامه. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولىٰ،١٤٤٢هـ. =

ورد في الحديث النبوي أفعالًا كلامية تندرج تحت الإخباريات(التقريريات) "من حوسب عذب"، و" إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك".

فحرص النبي (ﷺ) من خلالها علىٰ تقرير الإيمان باليوم الآخر لدىٰ المرأة، وما فيه من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه، والبعث والحساب والعرض، واعتقاد وقوعه.

وقام الخطاب علىٰ مراجعة عائشة (رضي الله عنها) النبي (ﷺ) لفهم معنىٰ الخبر وتوضيحه، فناقشته وسألته عن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [سورة الانشقاق:٧-٨]، فأجابها بتقريره للحساب، وأن الحساب اليسير هو العَرْض فقط، والعذابُ لِمَن نُوقِش فيه(١).

إن الخطاب النبوي بتقريره لهذا الركن العظيم ركن الإيمان باليوم الآخر – يمثل فعلًا إنجازيًا يترتب عليه ترسيخ شعور الخوف من الله في قلب المؤمنة، ولزوم مخافته، فتترك الركون إلىٰ الدنيا، ويبقىٰ قلبها مُعلَّقًا بالله.

= العَرْض: عرضُ الناسِ علىٰ الميزان. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. أبو الفضل العسقلاني:١/ ١٩٧ .رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطب عليه تعليقات العلامة ابن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

نُوقِشَ: أي مَن استُقصِيَ في مُحاسَبَتِه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الأثير الجزري (المتوفي:٦٠٦هـ): ٥/ ١٠٦. تحقيق: طاهر أحمد، محمود الطناحي: المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

الحساب: توقيفُ اللهِ عبادَه قبل الانصراف من المحشر علىٰ أعمالهم وإبراز هذه الأعمال وإظهارها، فيُعرِّف صاحبَها بذنوبه. ينظر: فتح الباري علىٰ صحيح البخاري. محمد أنور شاه الكشميري: ١١/ ٤٠٢ .تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٥م.

(١) فيض الباري علىٰ صحيح البخاري:١/ ٢٨٧.

* حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجحْدَرِيُّ، وَأَبُو مَعْنٍ زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيُّ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي مَعْنٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها): قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [سورة التوبة:٣٣]، [سورة الصف:٩]، أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَىٰ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ»(١).

في هذا الحديثِ النبوي الشريف الذي دار بينه وبين السيدة عائشة (رضي الله عنها) يُخبر النَّبيُّ (ﷺ) أنَّه لا يذهب اللَّيل والنَّهار بمُرورِ الأزمانِ حتَّىٰ تُعبَدَ اللَّاتُ والعُزىٰ، فأخبرَت عائشةُ (رَضيَ اللهُ عنها) النَّبيَّ (ﷺ) أنَّها كانت تظُنُّ لمَّا أنزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتىٰ تَعبُد دَوْسٌ ذا الخلصة: ٤/ ٢٢٣٠ [٢٩٠٧]. ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. اللات: اسم صنم كان لثقيف بالطائف، والعُزَّىٰ: من أعظم الأصنام عند قريش، وكانت العرب وقريش تُسمِّي بها: عبد العُزَّىٰ. ينظر: كتاب «الأصنام» لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي (المتوفي:٢٠٤ه): ١٦، ١٨ تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م.

مِثْقال: المثقال في الأصل: مقدار من الوزن. حَبَّة خَرْدَل: القطعة الصغيرة من الحنطة والشعير ونحوهما. والخَردَلُ: نَباتٌ مَعروفٌ يُشبِهُ الشَّيءَ القَليلَ البليغَ في القِلَّةِ، وهو كِنايةٌ عن تَناهي العملِ في الصِّغَر. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:١/ ٢١٧، ١/ ٣٢٦.

ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، أنَّ ذلك تامًّا، فعَلِمْتُ مِن مَفهومِ الآيةِ أنَّ ملَّةَ الإسلامِ ظاهرةٌ علىٰ الأديانِ كلِّها، غالبةٌ عَليها غيرُ مَغلوبةٍ؛ فكيفَ تُعبَدُ اللَّاتُ وَالعُزَّىٰ؟! فخاطبها بأسلوب التقرير والبيان عند إبرازه لبعض المغيبات، ووقعت الأفعال الكلامية التي تحمل قوة إنجازية، ترفع همتها ليكون موقفها – ومن يسمع –التمسك بالعقيدة الصحيحة، والحرص علىٰ الثبات رغم فِتَن الحياة وشهواتها، فيكون لهذا الإخبار أثره في علو الهمة، واستمرارية اليقظة، والاستعدادٍ للدار الآخرة؛ إذ إن ريحًا تهبُّ فتتوفىٰ كل من في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من إيمان، فلا يبقىٰ إلا شرار الناس، فيعودون لعبادة الأوثان ويرجعون إلىٰ ما كانوا يعبدون في الجاهلية، ويتقربون إليهم!

* حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ خَالِدٍ الْخَيَّاطُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ الْعُمَرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلَا يَذْكُرُ احْتِلَامًا؛ قَالَ: «يَغْتَسِلُ»، وَعَنِ الرَّجُلِ يَرَىٰ أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ وَلَا يَجِدُ الْبَلَلَ؛ قَالَ: «لَا غُسْلَ عَلَيْهِ»، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: الْمَرْأَةُ تَرَىٰ ذَلِكَ، أَعَلَيْهَا غُسْلٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»(١) .

يحمل الخطاب النبوي لأم سليم فعلًا إنجازيًا في قالب تقريري " إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ"؛ إذ يرمي إلىٰ تأصيل مساواة المرأة بالرجل في الأحكام الشرعية،

(١) أخرجه أبو داوود في «السنن»، في بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَجِدُ الْبِلَّةَ فِي مَنَامِهِ: ١/ ٦١ [٢٣٦] ينظر: سنن أبي داود. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفىٰ: ٢٧٥هـ):١/ ٦١ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

شقائق الرجال: نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، وكأنهن شقق منهم، ولأن حواء خلقت من آدم (عليه السلام). ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢/ ٤٩٢.

وإخبار المرأة المسلمة أنها "شقيقة الرجل في أداء العبادات إلا ما يسقط عنها حسب ما تقتضيه فطرتها التي خُلقت عليها؛ كترك الصلاة والصيام زمن الحيض والنفاس"(١).

قال ابن حزم: "وقد تيقنَّا أن رسول الله (ﷺ) مبعوث إليهِنَّ كما هو إلىٰ الرجال، وأن الشريعة التي هي الإسلام لازمة لهنَّ كلزومها للرجال وأيقنَّا أن الخطاب بالعبادات والأحكام مُتوجّه إليهن كتوجهه إلىٰ الرجال؛ إلا ما خصهُنَّ أو خصَّ الرجالَ منهن دليل"(٢).

ولهذا التقرير الإخباري وقعه علىٰ نفس المرأة؛ فهي عزيزة مصونة، مهيبة الجانب، ما انتُقص منها فيما سبق أعاده لها الإسلام، وعلمت المرأة بقوله عليه السلام أنّ لها حصن متين وبيت حصين يحفظ لها ما هي عليه من الصفات والاختلافات، ويكلفها بما يواءم طبيعتها الرقيقة؛ فهي أخت الرجل إلا ما خصَّها أو خصَّ الرجل.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة:٧١]: "وعبَّر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض؛ للإشارة إلىٰ أن اللُّحْمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام، فهم فيها علىٰ السواء، ليس واحد منهم مقلدا للآخر، ولا تابعًا له علىٰ غير بصيرة"(٣).

---

(١) خطاب النبي (ﷺ) للمرأة المسلمة دراسة حديثية موضوعية. عزيزة بنت لهيلم بن رحيل العنزي:١٢٧ رسالة ماجستير. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة القصيم، ٢٠١٧م.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام. أبو محمد بن حزم الأندلسي(المتوفي:٤٥٦ه):٣/ ٣٤١ دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤ه.

(٣) التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور:١٠/ ١٥١ مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٠م.

٢- التوجيهيات (Diretives)

نوع من أفعال الكلام التي يستعملها المتكلم لتوجيه شخص آخر ليقوم بشيء ما، "وغرضها الإنجازي توجيه المخاطب إلىٰ الفعل ومحاولة التأثير فيه"، واتجاه المطابقة فيها هو جعل العالم يلائم الكلمات"[(١)]؛ فالأفعال التوجيهية تعبر عن توجيه المرسل لينفذ المرسل إليه بعض الأفعال في المستقبل، كما أنها تعبر عن رغبة المرسل بأن يكون خطابه أو بأن تؤخذ إرادته التي انطوىٰ عليها خطابه، علىٰ أنها هي الدافع الحقيقي في الفعل الذي سوف يأتي المرسل إليه مستقبلًا [(٢)] ، والتوجيهيات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن يمكن أن تُهمل، أو يخضع لها، أو تستنكر .....الخ[(٣)]، وتشمل الأمر، والنصح، والسؤال، والإجازة، والطلب [(٤)]

ويقوم الخطاب النبوي للنساء في مقام الوعظ، والإرشاد والتعليم علىٰ تلك الاستراتيجية التوجيهية؛ لتحقيق قوة إنجازية للفعل الكلامي، ويبرز ذلك من خلال أفعال الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء. من ذلك:

* قال مسلم حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ، حَدَّثَنَا أَبِي -كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ،

---

(١) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. هاشم طبطبائي:٣١ مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٣٣٧.

(٣) العقل واللغة والمجتمع. جون سيرل: ٢١٨ ترجمة: سعيد الغانمي منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٦م.

(٤) اللغة والفعل الكلامي والاتصال مواقف خاصة بالنظرية اللغوية. زيبيلة كريمر:١٠/ ١٥١ ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولىٰ،٢٠١١م.

عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ اللهِ قَالَ: أَتَتْ فَاطِمَةُ النَّبِيَّ(ﷺ) تَسْأَلُهُ خَادِمًا؛ فَقَالَ لَهَا: «قُولي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السبع....» بِمِثْلِ حَدِيثِ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ

ولفظه: « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(١).

ينطوي هذا الخطاب النبوي علىٰ تأصيل الاعتقاد الصحيح في قلب كل امرأة، وتقرير مقتضيات توحيد الربوبية لديها، فمن أقر بربوبية الله اعتقد أنه لا رازق ولا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مغني إلا الله، فكل شيءٍ في هذا الكون بأمره، ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [سورة الحديد:٣]، كما يقتضي هذا الإقرار إثبات ربٍّ مُباين للعالم؛ فإن الربوبية المحضة تقتضي مباينة الرب للعالم بالذات، كما باينهم بالربوبية وبالصفات والأفعال، فمن لم يُثبت ربًّا مباينا للعالم فما

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع:٤/ ٢٠٨٤ [٢٧١٣].

والعرش: سرير الملك، وعرش الرَّحْمَن من أعظم مخلوقاته، وأعلاها موضعا فوق سماواته، فالق: أي الذي يَشُقُّ حَبَّة الطعام، ونوىٰ التمر للإنبات. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٢٠، ٣/ ٤٧١.

ناصيته: الناصية عند العرب منبتُ الشَّعَر في مُقدَّم الرأس ينظر: لسان العرب. محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفىٰ: ٧١١هـ):١٥/ ٣٢٧ (فصل النون). دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

أثبت ربًّا[١] .

وتمثلت القوة الإنجازية للفعل التوجيهي " قُولي: اللَّهُمَّ...." في قدرة النبي (ﷺ) علىٰ التأثير في قناعة المرأة وعقيدتها؛ "لكي تزداد إيمانًا مع إيمانها، ويقوىٰ يقينها بقدرته، وتستشعر ضعفها أمام قُوَّته، ونقصها أمام كماله، وذُلَّها أمام عِزّته" [٢]، ومن ثمّ تكون الاستعانة به، فمن استعان بالله أعانه، وتحمّل حوائجه كلها.

كما وجه هذا الخطاب النبوي المرأة لأدب عظيم من آداب الدعاء؛ فبعد التوسل لربها، تدعو وتطلب منه ما تشاء، " وذلك أنه أبلغ ما يكون في حال السائل والطالب: ثناؤُه علىٰ ربِّه، وحمده له وتمجيده، وذكر نعمه وآلائه، وجعل ذلك كله بين يدي مسألته وسيلةً للقبول، ومفتاحًا للإجابة ".[٣]

* قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُمِّ هَانِي (رضي الله عنها) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لَهَا: «اتَّخِذِي غَنَمًا؛ فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً»[٤] .

منح الشرع الكريم المرأة حق الملكية الفردية بعد أن جارت الجاهلية علىٰ هذا الحق، وسلبتها إياه، بل كانت المرأة نفسها يُستولىٰ عليها وتورث كالمتاع، يقول

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (المتوفي:٧٥١هـ):١/ ٦١ دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

(٢) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. عبد الحميد الصيد الزنتاني:٣٥٨ الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

(٣) فقه الأدعية والأذكار. عبد الرازق بن عبد المحسن البدر: ٢/ ٢٠٣ الكويت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية: ٢/ ٧٧٣ [٢٣٠٤] ينظر: سنن ابن ماجه. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفىٰ: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

تعـــالىٰ: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [سورة النساء:٣٢]، "فتضمنت الآية تقرير حق الرجال فيما أحرزوا وكسبوا، وحق النساء فيما أَحْرَزْنَ وكسَبْنَ، وتقرير كون الله هو المُتفضّل عليهم جميعًا، وأن عليهم أن يسألوه من فضله؛ فهو العليم بمقتضيات كل شيء.

وقد انطوت الآية علىٰ تنبيه حاسم علىٰ حق المرأة فيما يدخل إلىٰ يدها من مال مشروع من مختلف الطرق، وحرية تصرفها فيه، وأهليتها الاستقلالية لهذا التصرف؛ ثم علىٰ حقها في النشاط والاكتساب وأهليتها لهما"[1] .

وقد ظهر الفعل الكلامي التوجيهي في صيغة فعل الأمر " اتخذي غَنَمًا؛ فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً"، حاملًا قوة إنجازية تمثلت في تأكيد قيمة المرأة في مجتمعها، وحقها في الكسب والتملك والتصرف.

* قال مسلم: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ الله: أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً[2] أَتَتْ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ قَالَ: «مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَىٰ ذَاكَ»، قَالَ: أَوْ قَالَ: «عَلَيَّ» قَالَ: قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)[3] .

إذا كان النهي أسلوب يراد به طلب الكف عن الفعل استعلاء، ومن صيغه "لا

---

(١) التفسير الحديث. محمد عزت دروزة:٨/ ٩٤ دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

(٢) هي زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:١٠/ ٢٤٥ رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه

(٣) أخرجه مسلم، في كتاب السلام باب السم:٤/ ١٧٢١ [٢١٩٠]. لَهَوَات: اللَّهَوات جمع لَهَاةٍ، وهي اللَّحَمة الحمراء معلقة في أصل الحنك. قاله الأصمعي وقيل: اللحمات اللواتي في سقف أقصىٰ الفم وقوله فما زلت أعرفها أي العلامة كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره.

تفعل" لا الطلبية الناهية والفعل المضارع للمخاطب[١] ، فقد جاء الخطاب النبوي السَّمْح بالعفو عن المرأة اليهودية التي أرادت قتله، ولم يعاقبها، ولم ينتقم لنفسه، رغم استحقاقها العقوبة المُغلَّظة؛ وهو في موقف القائد الزعيم المستعلي، فقال لأصحابه عندما طلبوا إذنه في قتلها: «لا».

وقد تمثلت القوة الإنجازية في النهي الحقيقي عن قتلها، وغرضه ترسيخ معاني العفو والصفح الجميل في قلب المرأة؛ " فإن الإغضاء عن الضعف البشري، والعطف عليه، والسماحة معه واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء، ورسولُ الله (ﷺ) راع وهادٍ ومُعلِّمٌ ومُرَبٍّ، فهو أولىٰ الناس بالسماحة واليسر والإغضاء، وكذلك كان(ﷺ) لم يغضب لنفسه قط، فإذا كان في دين الله لم يقم لغضبه شيء"[٢].

ومثل هذا الفعل التوجيهي الذي يعلمنا إياه رسول الله (ﷺ) لباب عظيم تربي به المرأة نفسها علىٰ العفو والصفح اقتداءً به (ﷺ)؛ فالعفو عند المقدرة تهذيب للنفس، ورفعة وعز لها.

* قال البخاري: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ شُعْبَةَ. ح وحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ جُوَيْرِيَّةَ بِنْتِ الحَارِث (رضي الله عنها) أن النبي (ﷺ) دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَة وهي صَائِمَةٌ، فَقَالَ: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟» قَالَتْ: لا. قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ: لا. قَالَ: «فَأَفْطِرِي».

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ الْجَعْدِ: سَمِعَ قَتَادَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ، أَنَّ جُوَيْرِيَةَ حَدَّثَتْهُ: فَأَمَرَهَا

---

(١) شروح التلخيص. مختصر العلامة سعد الدين التفتزاني علىٰ تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ومواهيب الفتاح في شرح تلخيص الفتاح لأبي يعقوب المغربي وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي:٢/ ٣٢٤ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) في ظلال القرآن. سيد قطب: ٣/ ١٤١٩ دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة:١٧، ١٤١٢هـ.

فَأَفْطَرَتْ[١] .

ينطوي الخطاب النبوي لجويرية (رضي الله عنها) علىٰ توجيه تعليمي، قائم علىٰ الاستفهام، فالفعل الكلامي يفعِّل السؤال بقصد التعليم، وغرضه الإنجازي ترسيخ المطلوب في ذهن المتلقي، ودمجه في الحوار، فلا يسمح بالتلقي فقط بل يشركه في تكوين المعنىٰ؛ فهو منهج أصيل واستراتيجية معتمدة في التعلم والتعليم.

عندما رأىٰ النبي (ﷺ) جويرية (رضي الله عنها) صائمةً يوم الجمعة؛ سألها: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟» فقالت: لا. وأراد أن يتأكد أيضًا فسألها: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» فقالت: لا. فأتىٰ الخطاب النبوي التعليمي بإصدار أمر علىٰ ضوء الأسئلة التي طرحها عليها، بقوله: «فَأَفْطِرِي».

ففيه نهي عن إفراد يوم الجمعة بالصيام، يقول ابن عثيمين: "الاستفهام هنا للاستعلام الذي يُراد به الإخبار؛ لأن المُستفهم تارةً يستفهم عن جهل، ولا يدري فيسأل غيره، وتارةً يستفهم لتنبيه المُخاطَب لِما يُلقىٰ إليه، أو لتقرير الحكم"[٢].

* حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ هُوَ المَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ)، يَقُولُ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»[٣] .

تصدَّر هذا الحديث النبوي أسلوب نداء، دلالة علىٰ تنبيه السامع لما سيلقىٰ إليه،

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»، في كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة:٣/ ٤٢ [١٩٨٦].

(٢) شرح رياض الصالحين محمد بن صالح العثيمين: ٢/ ٥٢٨ دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»، في كتاب الأدب، بَابٌ: لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا:٨/ ١٠ [٦٠١٧].

"والنداء من الإنشاء الطلبي، ويعد في اللسانيات التداولية من الأفعال الكلامية، شأنه شأن الأفعال الكلامية الأخرىٰ، كالإخبار والاستفهام والأمر والوعد والوعيد، والمنادىٰ كوظيفة أي علاقة تسند إلىٰ أحد مكونات الجملة، بيد أن النداء فعل لغوي يشكل الجهة، أو القدرة الإنجازية للجملة"(١).

وقد يعد النداء مدخلًا للأفعال الكلامية التي تأتي بعده، بحيث يكون الهدف المقصود من الخطاب، وإنما جيء بالنداء ليكون وسيلة يتوصل بها لتبليغ التوجيهات(٢).

وهو كما يقول الفارابي: "يقتضي به اولًا من الذي نودي الإقبال بسمعه وذهنه علىٰ الذي ناداه منتظرًا لما يخاطبه به بعد النداء"، فغايته في الخطاب " تمكين الداعي من توجيه ما يريد إلىٰ المدعو، ويصحب ذلك غالبًا الأمر والنهي"(٣).

وفي هذا الحديث فعل كلامي توجيهي بدأ التهيئة له بالنداء، وغرضه الإنجازي الحث علىٰ هدية الجارة لجارتها، "لا حقيقة الفرسن؛ لأنه لم تجر العادة بإهدائه، وظاهره النهي للمُهدي عن استحقار ما يهديه، بحيث يؤدي إلىٰ ترك الإهداء، ويحتمل أنه للمهدَىٰ إليه والمراد لا يحقرن ما أهدي إليه، ولو كان حقيرًا، ويحتمل إرادة الجمع، وفيه الحث علىٰ التهادي سيّما بين الجيران، ولو بالشيء الحقير؛ لما فيه

(١) الوظائف التداولية في اللغة العربية. أحمد المتوكل: ١٦١ دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٥م.

(٢) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية. محمد مدور: ١٧٩ أطروحة دكتوراه مقدمة إلىٰ قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٤م.

(٣) كتاب الحروف. أبو نصر الفارابي: ١٦١ تحقيق: محسن مهدي دار المشرق، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

من جلب المحبة والتأنيس"[١].

٣- **التعبيريات** Expressives

هي أحد أصناف أفعال الكلام، الغرض منها هو التعبير عن الحالة النفسية تجاه الواقعة التي تعبر عنها القضية، ويطلب فيها الإخلاص، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن، أو عما هو محبوب أو ممقوت[٢] ، وهي أفعال بوحية تتمثل في الإفصاح عمَّا تحمله النفس من مشاعر، فهي وإن كانت بالدرجة الأولىٰ تعبر عما يشعر به المتحدث فإن أثرها يتعدىٰ إلىٰ المخاطب[٣] ، وغرضها الإنجازي يتمثل في التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، فالمرسل لا يجعل كلماته مطابقة للعالم الخارجي، وإنما المطلوب فيها هو النية والإخلاص[٤]، ومما تندرج التعبيريات فيه في الخطاب النبوي للنساء، في مقام التعزية:

قول البخاري: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا (رضي الله عنه) يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ[٥]

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المران. محمد بن إسماعيل الصنعاني (المتوفي:١١٨٢هـ): ٣/ ٣٥، ٣٦ تحقيق: عصام الصبابطي، عماد السيد دار الحديث، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.

(٢) التداولية. جورج يول:٩٠.

(٣) الفعل الكلامي في كتاب الفرائض والحدود من صحيح البخاري دراسة لغوية تداولية. نجود إسماعيل رافع العنزي :١٩١ مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، المجلد:٦، العدد:١ مارس، ٢٠٢٤م.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة:٤٩، ١٠٤.

(٥) هو حارثة بن سراقة الأنصاري النجاري قتله حِبَّان بن العَرقة ببدر شهيدًا، رماه بسهم وهو يشرب من الحوض، فأصاب حنجرته فقتله، وكان خرج نظارًا وهو غلام، ولم يعقب. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي:١/ ٣٠٧ تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٢م.

وَهُوَ غُلامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ[1] إِلَىٰ النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَىٰ تَرَىٰ مَا أَصْنَعُ. فَقَالَ: «وَيْحَكِ، أَوَ هَبِلْتِ؟! أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ ؟! إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ» .[2]

يقوم هذا الخطاب النبوي علىٰ التعبير عن الحالة النفسية التي وقعت فيها الربيع بنت النضر الأنصارية حين فقدت ابنها، الذي له في قلبها منزلة قد عرفت، ومكانة قد تجلّت، وكيف ربط النبي (ﷺ) علىٰ قلبها، وخاطبها بما يُطَمئِنُها، بأسلوب التشويق، ولم يكتفِ بالإجابة عن سؤالها بمصير ابنها في الآخرة، بل بشرها بأنه في الجنة جاعلًا من الرجاء دواءً وتسليةً لها.

وقد عبَّر النبي (ﷺ) بتلك اللفظة "وَيْحَكِ"، وهي كلمة ترحم وتوجُّع، تُقال لِمَن وقع في هَلَكة لا يستحقها، وقد تُقال: بمعنىٰ المدح والتعجب، إرادة منه (ﷺ) تأصيل الرجاء في قلب أم حارثة له وتعليمها حسن الظن بالله، وترك اليأس والقنوط؛ امتثالا لقوله تعالىٰ:﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] .

وقد راعىٰ (ﷺ) في خِطَابه مشاعرَ الأُمّ التي فقدت ابنها، وبعد أن بيَّن لها أن ثَمَّ جنانًا كثيرة لا جنَّة واحدة، جاء الخِطَاب التأكيدي بأن ابنها أصاب من الجنان أعلاها؛

---

(١) هي الربيعُ بنت النضر بن ضَمْضَمِ الأنصارية، من بني عدي بن النجار؛ أختُ أنس بن النضر، وعمَّةُ أنس بن مالك. ينظر: الاستيعاب:٤/ ١٨٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب فضل مَن شَهِدَ بدرًا:٥/ ٧٧ [٣٩٨٢]، وكذلك في كتاب الرّقاق، باب صفة الجنة والنار:٨/ ١٤٤ [٦٥٥٠]. وَيْحَكِ: كلمة ترحم وتوجُّع، تُقال لِمَن وقع في هَلَكة لا يستحقها، وقد يُقال: بمعنىٰ المدح والتعجب. أَوَهَبِلْتِ: أَفقَدتِ عقلَكِ وتمييزَكِ بفقدِ ابنِكِ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٥/ ٢٣٥، ٢٤٠.

وهي الفردوس يا لجمال هذا الخطاب! كم كان فيه من إدخال السرور علىٰ قلب هذه الثكلىٰ وتعليق رجائها بالله عز وجل؟!(١). ومن البوحيات في مقام الفرح:

* قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدُفِّهِنَّ، وَيَتَغَنَّيْنَ، وَيَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ النَّبِي(ﷺ): «اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَأُحِبُّكُنَّ»(٢) .أتىٰ الفعل الكلامي مباشرًا في الملفوظ " اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَأُحِبُّكُنَّ "، وهو فعل تعبيري بوحي، يفصح عمَّا في نفس رسول الله (ﷺ) تجاه جوارٍ من بني النجار، وقد تمثلت القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي في إقرار المرأة علىٰ إظهار معالم الفرح، وإنشاد الكلمات في مثل هذه الأوقات التي تبعث الفرح والسرور في القلب؛ بل أثنىٰ(ﷺ) عليهن، وبادلهن بالحب حبًّا، وبالمودّةِ ودًّا؛ إبرازا لقيمتهن الاجتماعية، ورفعًا لمكانتهن، قائلًا: «اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَأُحِبُّكُنَّ».

٤- الوعديات (cemmissives)

نوع من أفعال الكلام يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي، فهي تعبر عمَّا ينويه المتكلم من وعود وعهود وتهديدات(٣) ، ووصية، وشرط الإخلاص

---

(١) خطاب النبي (ﷺ) للمرأة المسلمة دراسة حديثية موضوعية. عزيزة بنت لهيلم بن رحيل العنزي:٧٤، ٧٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب الغناء والدُّف:١/ ٦١٢ [١٨٩٩]، ينظر: سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني (المتوفي:٢٧٣ه) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. فيصل عيسىٰ البابي الحلبي.

(٣) التداولية. جورج يول، ترجمة: قصي العتابي: ٩٠، ٩١.

فيها هو القصد[١].

الجدير بالذكر أن الأفعال التوجيهية والالتزامية تتجه إلىٰ المطابقة في كليهما لغرض إنجازي واحد، إلا أن المرجع في الالتزاميات هو المتكلم، أما في التوجيهيات فهو المستمع. كما أن تأثير المتكلم علىٰ السامع يكون ظاهرًا في التوجيهيات، ولا يظهر في الالتزاميات[٢].

وقد وظَّف الخطاب النبوي الأفعال الكلامية في مقام الوعديات في مناسبات شتىٰ، ترغيبًا وترهيبًا، تشويقًا وتوعدًا، من ذلك:

قال أبو داود: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ بَكَّارٍ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ قَالَتْ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا مَرِيضَةٌ، فَقَالَ: «أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ؛ فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»[٣].

بدأ الخطاب النبوي بالفعل الكلامي «أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ» من ضمن الوعديات، التي التزم النبي(ﷺ) بها لأم العلاء؛ فالمريض تذهب خطاياه بمرضه، وتُحطّ ذنوبه بألمه، ويكمن الغرض الإنجازي في ترغيبها في الأجر، وتخفيف آلامها، واحتساب ما أصابها عند أرحم الراحمين؛ وتأكدت البشرىٰ من خلال ضرب المثل، الذي له دورٌ عظيم وأثر عميق في التأثير في المتلقي.

يقول العيني: "ينبغي للعائد أن يُبشِّر المريض بذهاب خطاياه؛ فإن فيها تسلية

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة: ٥٠.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري:١٥٨.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب عيادة النساء:٣/ ١٨٤[٣٠٩٢]. خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّة: الخبث هو ما تُلْقِيه النارُ من وَسَخِ الفضة والنُّحاس وغيرهما إذا أُذيبا. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢/ ٥.

لقلبه، وتقوية لجنانه"[1]، كما أن في مناداتها بكنيتها أم العلاء مزيد استئناس وإدخال السرور علىٰ قلبها[2] .

* حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ (رضي الله عنه): أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَفُ، فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَفُ؛ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: أَنَّهُ رَأَىٰ أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ عَلَىٰ سِتْرِ الْكَعْبَةِ[3] .

حوىٰ هذا الخطاب النبوي للمرأة التي أصابها الصرع علىٰ الأفعال الكلامية "إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ" و " وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ " منطويًا تحت الوعديات، متلائمًا مع موقف تلك المرأة وحالها، محققًا غرضه الإنجازي، فقد علَّمها به الرضا بقضاء الله وقدره، وبيَّن لها فضيلة الصبر، ورغَّبها في الثواب العظيم

---

(١) شرح سنن أبي داود. أبو محمد محمود العيني(المتوفي:٨٥٥هـ): ٦/ ١٠ تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٩م.

(٢) خطاب النبي (ﷺ) للمرأة المسلمة دراسة حديثية موضوعية. عزيزة بنت لهيلم بن رحيل العنزي:١٧٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المرضىٰ باب فضل مَن يُصرَع من الريح:٧/ ١١٦ [٥٦٥٢]، الصرع: داء يتميز بنوبات فجائية من فقدان الوعي ويقترن غالبًا بالتشنج. وقد يكون الصرعُ من الجن. والأول هو الذي يُثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجه والثاني يجحده كثير منهم. والمرأة اسمها سعيرة الأسدية. أَتَكَشَّف: يتكشف جسمي أثناء فقدان الوعي. ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري:٥/ ١٩٩، ٢٠٠ راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق -الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٠م.

الذي ينتظرها في الآخرة؛ رفعا لهمتها، وتطمينًا لها.

ويتجلىٰ الالتزام النبوي بما تعهد به تجاه هذه المرأة؛ إذ إنها لَمَّا رأت ترغيبه وأن صبرها سيكون سببًا لدخولها الجنة؛ استجابت لترغيبه في الخِطَاب، وقالت: أَصْبِر، لكنها طلبت أن يدعو لها بأن لا تتكشف، فوقع الفعل الذي وعدها به " فَدَعَا لَهَا ".

* حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، عَنْ حَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَىٰ النَّبِيِّ(ﷺ) فَقَالَ: «لاَ تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ، ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ»(١) .

وظَّف الخطاب النبوي الأفعال الكلامية "لاَ تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ" و "ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ" في مقام التوعد، بمنع فضل الله عمّن يمنع فضل المال عن الفقير، وغرضه الإنجازي الحث علىٰ النفقة في الطاعة، والامتثال لأمر الرسول صلىٰ الله عليه وسلم بالصدقة، والحذر من الشح، والنهي عن الإمساك، وهذا ليس نهيًا خاصًا بأسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما)، وإنما هو عام لكل نساء المسلمين.

* قال البخاري: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ فَاطِمَةَ، عَنْ أسماء (رضي الله عنها) عن النَّبِيِّ (ﷺ). ح حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ هِشَامٍ، حَدَّثَتْنِي فَاطِمَةُ، عَنْ أَسْمَاءَ (رضي الله عنها) أَنَّ امْرَأَةً(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة فيما استطاع. لا توعي: من وعيت الشيء إذا حفظته أو جعلته في وعاء، والمعنىٰ لا تدخري المال وتمسكي عن إنفاقه. ارضخي: من الرضخ وهو العطاء غير الكثير ينظر: صحيح البخاري: ٢/ ١١٣ [١٤٣٤].

(٢) قيل: هي أسماء بنت أبي بكر الصديق وزوجها الزُّبَير، وضَرَّتها هي: أُمُّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط. ينظر: تنبيه المعلم بمبهمات صحيح مسلم. أبو ذر سبط ابن العجمي (المتوفي:٨٨٤هـ):٣٦٥ تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٤م.

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي ضَرَّةً؛ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ الله (ﷺ): «الْمُتَشَبِّعُ بمَا لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»(١) .

يحوي هذا الخطاب النبوي فعلًا كلاميًا في مقام الترهيب والتوعد لمن تكثَّر بما ليس عنده، " الْمُتَشَبِّعُ بمَا لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ "، يقول النووي: «المُتكثّر بما ليس عنده، بأن يُظهر أن عنده ما ليس عنده، يتكثّر بذلك عند الناس ويتزين بالباطل؛ فهو مذموم كما يُذَمُّ من لبس ثوبي زور.(٢)

وتتمثل القوة الإنجازية للفعل الكلامي في ردع تلك المرأة ومن ماثلها في فعلها عن التعالي والتفاخر والتكثّر بما ليس عندها؛ فنهاها (ﷺ) عن أن تتظاهر وتتعالىٰ علىٰ ضرتها بما لم يُعْطِها زوجها؛ " وإنما كره ذلك؛ لأنها تُدخل بين المرأة الأخرىٰ وزوجها البغضاء، فيصير كالسحر الذي يُفرّق بين المرء وزوجه "(٣).

ومن المبالغة في الترهيب من هذا المآل أن ثنَّىٰ(ﷺ) الثوب في " ثَوْبَيْ زُورٍ"؛ "للإشارة إلىٰ أن كذبَ المُتحلّىٰ مُثَنَّىٰ؛ لأنه كذب علىٰ نفسه بما لم يأخذ، وعلىٰ غيره

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المُتشبِّع بما لم يَنَل، وما يُنهىٰ من افتخار: ٧/ ٣٥ [٥٢١٩]. ضَرَّة: الضرّ خلاف النفع، وسميت المرأةُ ضَرَّة؛ لأنها تَضُرُّ بصاحبتها، فينتقل الزوج من إحداهما إلىٰ الأخرىٰ. المُتشبِّع: أي المُتكثّر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢/ ١٦٠، ٤٤١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المُتشبِّع بما لم يَنَل، وما يُنهىٰ من افتخار: ٧/ ٣٥ [٥٢١٩]. ضَرَّة: الضرّ خلاف النفع، وسميت المرأةُ ضَرَّة؛ لأنها تَضُرُّ بصاحبتها، فينتقل الزوج من إحداهما إلىٰ الأخرىٰ. المُتشبِّع: أي المُتكثّر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢/ ١٦٠، ٤٤١.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري. أبو محمد بدر العيني (المتوفي: ٨٥٥هـ):٢٠/ ٢٠٥ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

بما لم يُعْطِ. وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه، ويظلم المشهود عليه" [١].

٥- الإعلانيات (Declaratives)

هي الأفعال التي ينشأ بمجرد التصريح بها إحداث تغيير في الوضع القائم، أي أن النطق بها يؤدي إلىٰ إيقاع الفعل، فإذا أعلن القاضي: "الموظف بريء" يترتب عليه براءة الموظف فعلًا[٢] وتشمل أفعال البيع والشراء، والهبة والوصية، والوقوف والزواج والطلاق وغيرها[٣] .

وقد تجلّت الإعلانيات في خطابه (ﷺ) للنساء، فحوىٰ علىٰ كثير من مثل هذه الأفعال التي توقع باللفظ فعلًا، منها:

* قال البخاري: حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ جَمِيلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس له: أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ؛ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَام فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَه(ﷺ): «اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ، وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً». قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: لَا يُتَابَعُ فِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٤] .

أوقع الرسول (ﷺ) في هذا الخطاب النبوي بالفعل الكلامي " اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ،

---

(١) فتح الباري:٩/ ٣١٨.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة: ٩٨.وينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية:٣٠٩.

(٣) الاستلزام الحواري في الحديث الشريف صحيح البخاري أنموذجًا دراسة وصفية تداولية. أسماء درنوني: ١٦٩ أطروحة الدكتوراه في اللسانيات واللغة العربية، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة، الجزائر،٢٠٢٢م.

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه: ٧/ ٤٦ [٥٢٧٣] حَدِيقَتَه: بستانه الذي أعطاه إياها مهرًا.

وَطَلَّقْهَا تَطْلِيقَةً " فعلًا، وأصدر من خلاله إعلانًا بحكم، وهو "الخلع"، وأصبح المخاطَب وهو"الزوج" ملتزمًا به.

وقد حقق الفعل الكلامي قوة إنجازية تمثلت في تغيير العالم/ الواقع قبله عمّا بعده، فأعلن عن الحقوق المالية التي يجب علىٰ المرأة أداؤها لأصحابها، وذكَّرها بالضمان عليها بعد أن جعل لها حقَّ حرية الاختيار.

يقول ابن القيم: " إن الله -تعالىٰ- شرع الخلع ؛ رفعا لمفسدة المُشاقَّة الواقعة بين الزوجين، وتخلص كل منهما من صاحبه "(١).

* قال البخاري: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُ أَهَبُ لَكَ نَفْسِي، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَصَعَّدَ النَّظَرَ فِيهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ المَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: «وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟» قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَىٰ أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا»، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لاَ وَاللهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَلاَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي - قَالَ سَهْلٌ: مَا لَهُ رِدَاءٌ - فَلَهَا نِصْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ»، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّىٰ إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ، فَرَآهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مُوَلِّيًا، فَأَمَرَ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين. أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية (المتوفي:٧٥١هـ):٤/ ٨٥ تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١م.

بِهِ فَدُعِيَ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ». قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا، عَدَّدَهَا، فَقَالَ: «تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»(١) .

إن الحديث الذي بين أيدينا يمكن عده ضمن تصنيف الإعلانيات وذلك وفقا لنصه، فقد أوقع الرسول (ﷺ) فعل الزواج بمجرد التلفظ بالفعل الكلامي: " مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ "، بمعنىٰ: زوجتها لك بما تحفظ من القرآن، فقد تم انعقاد النكاح؛ أي إيقاع الفعل بمجرد النطق بالفعل الكلامي، وترتب علىٰ ذلك كافة ما بينهما من حقوق وواجبات.

وقد حقق الفعل الكلامي قوة إنجازية تمثلت في تغيير الواقع قبله عمَّا بعده، ففي الحَديثِ: " انعِقادُ النِّكاحِ بغَيرِ لَفظِ النِّكاحِ والتَّزويجِ .وفيه: إنكاحُ المُعسِرِ، وأنَّ الكفاءةَ إنَّما هي في الدِّينِ لا في المالِ، وأنَّه لا حَدَّ لأقلِّ المَهرِ .وفيه: أنَّ الإمام يُزوِّجُ مَن ليس لها وليٌّ خاصٌّ لِمَنْ يَراه كُفؤًا لها، بشَرْطِ رِضاها. وفيه: إكرامُ حامِلِ القرآنِ، حيث زوَّج النَّبيُّ (ﷺ) المرأةَ للرَّجلِ؛ لأجْلِ كونِه حافظًا للقرآنِ أو لبَعضِه. ليعلِّم المرأةَ ما حفِظه من القرآن، ويكون تعليمُه ما حفظه من القرآن مهراً لها. وفيه: المُبالَغةُ في تَيسيرِ أمْرِ النِّكاحِ. وفيه: دليلٌ علىٰ نَظَرِ كبيرِ القَومِ في مصالحِهم، وهدايتِه إيَّاهم إلىٰ ما فيه الرِّفقُ بهم " (٢)

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب النكاح، باب تزويج المعسر: ٧/ ٦ [٥٠٨٧]. الإزار: هو ما يلبس من الثياب أسفل البدن. ينظر: صحيح البخاري:٣/ ٤٧ .

(٢) الدرر السنية إشراف: علوي بن عبد القادر السقاف: ١٢٦هـ مرجع علمي موثق علىٰ منهج أهل السنة والجماعة.

https://dorar.net/hadith/sharh/20158 .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَائِشَةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخْبَرَتْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) كَانَ عِنْدَهَا، وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ إِنْسَانٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «أُرَاهُ فُلَانًا - لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ - الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الوِلاَدَةُ»(١).

يعد تلفظ الرسول (ﷺ) بالفعل الكلامي " الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الوِلاَدَةُ " إيقاع لأفعال لم تكن موجودة من قبل، وإعلان لقاعدة عامة شاملة لأحكام الرضاعة، " فيحرم من الرضاع ما يحرم من النسب سواء من قبل الزوجة أو من قبل الزوج، فكل ما يحرم علىٰ الإنسان من قراباته من النسب بأن يتزوجها كأخته وخالته وعمته، فحرام عليه أن يتزوج بهؤلاء إذا كانت قرابتهن بالرضاع، وكذلك الزوجة يحرم عليها أن تتزوج بولدها وأخيها وعمها وخالها، فكذلك حرام عليها أن تتزوج بهؤلاء إذا كانوا من الرضاع. وقيل في ذلك شعر:

تحريم الرضاع ساري المفعول كسريان الماء في العروق "(٢).

لقد تغير الواقع بعد التلفظ بهذه الملفوظات، وأدىٰ النطق بها إلىٰ إيقاع الفعل،وإعلان الحكم الجديد.

(١) أخرجه البخاري، في كتاب النكاح، باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم [النساء: ٢٣]: ٥/ ١٩٦٠ [٤٨١١].

(٢) الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد. عبد الله بن صالح المحسن:٨٤ الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

ثانيًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة

من إسهامات سيرل المهمة – كما سبق- : التفرقة بين الأفعال الإنجازية المباشرة (direct) وغير المباشرة (un direct)، وقد استفاد سيرل من نظرية جرايس في الاستلزام الحواري، حيث استعار منه آلية الانتقال من المعنىٰ الحرفي إلىٰ المعنىٰ المستلزم، ليطبقها علىٰ الأفعال الكلامية غير المباشرة، حيث الانتقال من القوة الإنجازية الحرفية إلىٰ القوة الإنجازية غير المباشرة، ونظرًا لأوجه الشبه والتّماس بين الأفعال الكلامية غير المباشرة والاستلزام الحواري اضطرب كثير من الباحثين في التفرقة بينهما، فجاءت بحوثهم التطبيقية تحمل عنوان الاستلزام الحواري، بينما هي خالصة في الأفعال الكلامية غير المباشرة [(١)] .

والحقيقة أن بين الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية غير المباشرة علاقة وطيدة اختلف الدارسون في تكييفها علىٰ أقوال: فقد ذهبت طائفة إلىٰ كون الأفعال الكلامية غير المباشرة فرعًا عن الاستلزام الحواري، بينما قالت طائفة أخرىٰ بالعكس، والذين قالوا بالقول الأول اختلفوا هل هو استلزام حواري معمم أو مخصص[(٢)] .

ومرجع هذه العلاقة الوطيدة بين الأفعال الكلامية غير المباشرة والاستلزام الحواري إلىٰ عدة أشياء: فكلاهما يدرس ظاهرة واحدة وهي قصد المتكلم ما لم يقله، والمؤسّسان ينتميان إلىٰ مدرسة فكرية واحدة، بل متعاصران كذلك، واستعار

---

(١) الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقاربة تداولية في آيات سورة البقرة. عيسىٰ تومي: ٤٣-٦٢ مجلة إشكالات في اللغة والأدب. المجلد الثامن، العدد الأول، ٢٠١٩م. وينظر: جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي: ٥٠ رسالة دكتوراه. جامعة عين شمس. كلية الآداب. قسم اللغة العربية وآدابها. ٢٠٢٠م.

(٢) نظرية التلويح الحواري. هشام عبد الله خليفة: ٤٢٠-٤٢٦.

سيرل من جرايس" آلية الانتقال من المعنىٰ الحرفي إلىٰ المعنىٰ المقصود مع تصريحه بذلك[١] .

ويأتي المبحث التالي للوقوف علىٰ بعض مواطن الاستلزام الحواري في خطاب النبي (ﷺ) للنساء.

(١) جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي:٥١.

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري في الخطاب النبوي للنساء

تعد نظرية الاستلزام الحواري أحد أهم محاور الدرس التداولي، وهي تعنىٰ بدراسة طرق إيصال المقصود بطريق غير مباشر وآلياته.

فإذا كان معنىٰ المتكلم ومقصده مختلفًا عن معنىٰ الكلمة والجملة، فما هي الآلية التي يتبعها المتكلم لإيصال مقصوده إلىٰ المخاطب؟ وكيف يتسنىٰ للمخاطب أن يصل إلىٰ مقصود المتكلم عندما يقصد أكثر مما يقول أو عكسه؟

لقد حاول جرايس أن يجيب عن هذه الأسئلة من خلال نظريته " الاستلزام الحواري "، وافترض وجود مبدأ عام متفقًا عليه ضمنيًا بين المتحاورين، ألا وهو مبدأ "التعاون" (cooperative principle) ، وخلاصته: اجعل مساهمتك في الحوار حسب ما يرجىٰ لها: موافقة لأهداف الحوار ووجهته.

وفرَّع هذا المبدأ – كما سبق- إلى أربع قواعد فرعية:

١-قاعدة الكم. ٢-قاعدة الكيف.

٣-قاعدة المناسبة. ٤-قاعدة الأسلوب.[١]

فحتىٰ يستطيع المخاطب الوصول إلىٰ مقصود المتكلم يجب أن يكون ملمًا بمعاني الكلمات ومرجعياتها، والسياقات اللغوية وغير اللغوية للكلام، مدركًا للانزياح الذي أحدثه المتكلم في قواعد الحوار الأربعة، ومعتقدًا أن المتكلم أراده أن يعلم أنه أحدث انزياحًا[٢] .

وتتمثل تلك الانزياحات وفق قواعد الحوار إلىٰ أربعة أنواع، سيتناول البحث كيف

---

(١) جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي:٢٥-٢٧.

(٢) المرجع السابق:٣٥.

وردت في الخطاب النبوي للنساء، وذلك علىٰ النحو التالي:

أولًا: الانزياح الكمي

أن يعدل المتكلم عن تقديم القدر المناسب من المعلومات زيادة أو نقصانًا، مستلزمًا لمعنىٰ غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويفهم من السياق، فهذه شروط ثلاثة في غاية الأهمية، إذ تخلُّف أحدها يقتضي انتفاء وقوع الانزياح الكمي.(١)

١- انزياح الزيادة

ومن الأحاديث المتضمنة على ذلك:

* قال البخاري: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن أبي صالح ذكوان عن أبي سعيد: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَقَالَتْ: « يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فَقَالَ: اجْتَمِعْنَ فِي يَوْم كَذَا وَكَذَا فِي مَكَان كَذَا وَكَذَا، فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ الله (ﷺ) فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا منّكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدهَا ثَلاثَةَ إلا كان لها حجابًا من النّار، فقالت امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ : يَا رَسُولَ الله أَوْ اثْنَيْن، قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْن، ثُمَّ قَالَ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ ».(٢)

لقد كرَّر النبي (ﷺ) " وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ " ثلاث مرات، وهو انزياح بالزيادة، استخدم فيه الأسلوب الإنجازي القائم علىٰ الجملة الاسمية، واستلزم معنىٰ البشارة بالحجب من النار لكل أم أصيبت في أبناءها، فصبرت واحتسبت، وقابلت مصابها

---

(١) الاقتضاء في التداول اللساني. عادل الفاخوري:١٥٣ مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩م.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي (ﷺ) أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأي ولا تمثيل: ٩/ ١٠١ [٧٣١٠]. ذهب الرجال بحديثك: استأثروا واختصوا به دوننا. بين يديها: قدامها وفي حياته.

بالرضا والتسليم بقضاء رب العالمين.

ومن الانزياح بالزيادة حديثه (ﷺ) عن ابنته فاطمة (رضي الله عنها)

* قال البخاري: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ المُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلاَ آذَنُ، ثُمَّ لاَ آذَنُ، ثُمَّ لاَ آذَنُ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا» .(١)

في قوله (ﷺ): " فَلاَ آذَنُ، ثُمَّ لاَ آذَنُ، ثُمَّ لاَ آذَنُ" انزياح بالزيادة؛ ليؤكد به النبي (ﷺ) قوله، وقد تمثلت القوة الإنجازية في أسلوب النفي؛ "لتأبيد مدة منع الإذن، وكأنه أراد رفع المجاز لاحتمال أن يحمل النفي علىٰ مدة بعينها، فقال لا آذن، أي ولو مضت المدة المفروضة تقديرًا لا آذن بعدها ثم كذلك أبدًا"(٢).

ولعل المعنىٰ المستلزم بيان مكانة فاطمة (رضي الله عنها) ومنزلتها في قلب أبيها، فكانت أحب أهل بيته إليه، وأقربهم إليه، ودلت الأحاديث النبوية علىٰ شدة هذا الحب، ومودته (ﷺ) لها، وإكرامه إياها.

٢- **انزياح النقصان**

قد يكون الخرق الكمي بالنقصان في الخطاب عن طريق الإبهام أو عن طريق الحذف.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف: ٧/ ٣٧ [٥٢٣٠].البَضْعة: بالفتح القطعة من اللحم، وقد تكسر، أي أنها جزء مني. يريبني: يزعجني ويقلقني وأكره ما تكره. ما أرابها: من أراب رباعيًا وفي رواية مسلم (ما رابها) من راب ثلاثيًا. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:١/ ٣٤٥

(٢) فتح الباري لابن حجر:٩/ ٣٢٨.

أولًا: الإبهام

وفيه تقدَّم معلومات مبهمة الدلالة؛ استلزامًا للمقصود من السياق[١] ، من ذلك: استخدام " ما " الموصولة، التي تفتقر إلىٰ صلة؛ لأنها مبهمة المعنىٰ، غامضة المدلول، لا تدل علىٰ شيء معين، فلا بد لها من شيء يعرفها، ويزيل إبهامها، فتكون جملة الصلة ليزال بها هذا الإبهام، إلا في مقام التعظيم والتفخيم، فيحسن إبهامها[٢] .

فقد ذكر النحاة أن الصلة تكون معهودة، إلا في مقام التعظيم والتهويل[٣] ، وقد مثّلوا لهذا بقول الله تعالىٰ: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ [سورة طه:٧٨]. أي: غشيهم من اليمّ أمور عظيمة مبهم أمرها، فدلّ الإبهام في الموصول وصلته علىٰ عظم الأمر المهول الذي غشيهم.

وقد انتهج الخطاب النبوي هذا النهج القرآني، من ذلك:

* حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ، أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ رِفَاعَةَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ القُرَظِيُّ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَلَيْهَا خِمَارٌ أَخْضَرُ، فَشَكَتْ إِلَيْهَا وَأَرَتْهَا خُضْرَةً بِجِلْدِهَا، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنِّسَاءُ يَنْصُرُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا يَلْقَىٰ المُؤْمِنَاتُ؟ لَجِلْدُهَا أَشَدُّ خُضْرَةً مِنْ ثَوْبِهَا. قَالَ: وَسَمِعَ أَنَّهَا قَدْ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) ، فَجَاءَ وَمَعَهُ

---

(١) جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي:٢٥-٢٧.

(٢) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك. جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري:١/ ١٦٨ راجعه: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣م.

(٣) حاشية الدسوقي علىٰ مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت:٩٧٢هـ). محمد بن عرفة الدسوقي: ٥٢٢ تحقيق: عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية، بيروت.

ابْنَانِ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، قَالَتْ: وَاللهِ مَا لِي إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ، إِلَّا أَنَّ مَا مَعَهُ لَيْسَ بِأَغْنَىٰ عَنِّي مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَتْ هُدْبَةً مِنْ ثَوْبِهَا، فَقَالَ: كَذَبَتْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ [ص:١٤٩]، إِنِّي لَأَنْفُضُهَا نَفْضَ الأَدِيمِ، وَلَكِنَّهَا نَاشِزٌ، تُرِيدُ رِفَاعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " فَإِنْ كَانَ ذَلِكِ لَمْ تَحِلِّي لَهُ، أَوْ: لَمْ تَصْلُحِي لَهُ حَتَّىٰ يَذُوقَ مِنْ عُسَيْلَتِكِ " قَالَ: وَأَبْصَرَ مَعَهُ ابْنَيْنِ لَهُ، فَقَالَ: «بَنُوكَ هَؤُلاَءِ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «هَذَا الَّذِي تَزْعُمِينَ مَا تَزْعُمِينَ، فَوَاللهِ، لَهُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنَ الغُرَابِ بِالْغُرَابِ»(١).

محل الانزياح في الحديث الشريف «هَذَا الَّذِي تَزْعُمِينَ مَا تَزْعُمِينَ»، والمعنىٰ المباشر: هَذا الَّذي تَزعُمينَ ما تَزعُمينَ؛ مِن عُنَّتِه وعَدَمِ قدرتِه علىٰ الجِماعِ؟!

فهو انزياح كمي بالنقصان، عدل فيه عن بيان زعم هذه المرأة وادعائها علىٰ زوجها، واعتمد " ما " التعظيمية الموصولة، إذ إن جملة الصلة (تَزْعُمِينَ) لم ترفع الإبهام عن الموصول، لبيان عظم هذا الزعم، وثبوت شدته، وأنه زعم كاذب، ففتح الإبهام الباب أمام ذهن المتلقي ليتصور شدة هذا الزعم، وأن قبحه تضيق عن وصفه العبارات.

يقول ابن الأثير: " (ما) فيها من الإبهام الذي لو قدرت ما قدرت تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ما تجد له مع الإبهام"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ثياب الخضر: ٧/ ١٤٨ [٥٨٢٥]. المرأة هي: تميمة بنت وهب أبي عبيد القرظية، وقيل: اسمها: سهيمة. مطلقة رفاعة القرظي، كانت تحت عبد الرحمن بن الزبير، لا يعلم لها غير قصتها مع رفاعة في حديث العسيلة. ينظر: الاستيعاب:٤/ ١٧٩٨ .وينطوي الحديث علىٰ استلزام حواري نشأ من انزياح قاعدة الأسلوب، كما سيأتي بيانه في البحث: صفحة (٦٦).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير :٢/ ١٦٤ . تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي بطانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

ويؤكد الخطاب النبوي إنكار زعمها، الذي أفصح عنه الإبهام الكامن في (ما) التعظيمية الموصولة، بدليل مرئي واقع بالمشاهدة، وثبوت الشبه بين عبد الرحمن وبنوه، فيفحمها بقوله (ﷺ): «فَوَاللهِ لَهُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنَ الغُرَابِ بِالْغُرَابِ».

ثانيًا: الحذف

أن يقدّم المتكلم معلومات أقل مما يتطلبه الحوار، " فيعرّف المعاني الكثيرة في عبارة أقل منها بحذف شيء من تركيبها مع عدم الإخلال بتلك المعاني، ويشترط فيه علم السامع به، ويكون الحذف إما بكلمة (مفردة) أو جملة أو أكثر من جملة مع ترك قرينة أو دليل تعين المحذوف إذ لا يكون إلا فيما زاد معناه علىٰ لفظه[1] .

وقيّده بعضهم فقال:" وليس كل باب الحذف داخلًا في الاستلزام الحواري وانزياح النقصان، وإنما ما كان منه مستلزمًا لمعنىٰ فحسب، يستنبطه المخاطب من السياق بعد تأمل وتدبر" [2].

ومن أمثلته في الخطاب النبوي للنساء:

* حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) لِعبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا» فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ[3] .

---

(١) أساليب بلاغية. أحمد مطلوب أحمد الرفاعي:٢١٢ وكالة المطبوعات –الكويت الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٠م.

(٢) جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي:٧٤، ٧٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ: ٧/ ٤٨ [٥٢٨٣]. راجعته: أي رجعت إليه. أشفع: أتوسط ولا آمر أمرا علىٰ سبيل الحتم.

محل الانزياح في الحديث قوله (ﷺ): «لَوْ رَاجَعْتِهِ» فهو انزياح بالنقصان عن طريق حذف جواب الشرط، إذ المعنىٰ المعدول عنه: " لو راجعتِه كان أفضل"، وقد استلزم هذا الحذف معنىٰ، فُهِم من سياق خطابه (ﷺ) مع بريرة، فمع فضل المراجعة وثمارها إلا إنه قدّر حرية الزوجة، وقدّس حقها.

فهو (ﷺ) حقيق بوصف الله له، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، فبعد أن تشفع عنده مغيث وهو العبد، في قضية أسرية لا تمس الأمة في ثوابتها، وليس لها صلة في أمورها العظام، ويشفع بأبي هو وأمي، لا يتكبر، ولا يتعالىٰ، بل يكلم المشفوع عنده بألطف العبارات، ويذكرها لا آمرًا، ولا زاجرًا، ولا مستعليًا، ولا متسلطًا.

* حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ اليَهُودَ، دَخَلُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَلَعَنْتُهُمْ، فَقَالَ: «مَا لَكِ» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ»(١) .

محل الانزياح في الحديث: «وَعَلَيْكُمْ» لم يزد عليه النبي (ﷺ) شيئًا، فحذف من الخطاب ما يوضح المعنىٰ، ويكمل المقصود.

وقع الانزياح بالنقصان عن طريق الحذف؛ حيث حذف المبتدأ والخبر، والمعنىٰ المعدول عنه: " السام واقع عليكم"، وقد دلّ علىٰ المبتدأ المحذوف ما ورد في أول الكلام، وحذف الخبر كذلك لدلالة متعلقه عليه.

وقد استلزم الخطاب معنىٰ له جمالياته؛ وهو بيان عظيم خلقه (ﷺ)، وكمال

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ثياب الخضر: ٤/ ٤٤ [٢٩٣٥]. السام: معناه الموت. فلعنتهم: أي: قالت عائشة: فلعنت هؤلاء اليهود بسبب قولهم. مالك: أي شيء حصل لك حتىٰ لعنتهم.

حلمه، مع ما فيه من استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم تترتب عليه مفسدة. قال الإمام الشافعي: " الكيّس العاقل هو الفطن المتغافل " (١).

ويقول النووي: " في الحديث حث علىٰ الرفق والصبر والحلم، وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلىٰ مخاشنة" (٢).

ثانياً: الانزياح الكيفي

ويقصد به: عدول المتكلم عن قول الحقيقة، مستلزمًا لمعنىٰ غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويفهم من السياق(٣) .

وهو ما استخدمته البلاغة العربية من خلال مصطلحي الحقيقة والمجاز، فعرّفوا الحقيقة بأنها: " الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب"، والمجاز " مفرد ومركب، أما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب علىٰ وجه يصحّ، مع قرينة عدم إرادته" (٤)، " والمركب: اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه" (٥).

وقد اتفق البلاغيون علىٰ أن المجاز يشمل من الفنون البلاغية: الاستعارة، والمجاز

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ): ١٤/ ١٤٧ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية،١٣٩٢ه.

(٢) المصدر السابق: ١٤/ ١٤٥.

(٣) جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي:١٦٣.

(٤) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. إبراهيم محمد عصام الدين الحنفي الأسفراييني (ت:٩٤٣ه):١/ ٨٤ حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٥) المرجع السابق: ٢/ ٢٩٣.

المرسل والاستعارة التمثيلية، والمجاز العقلي[١] .

ومن النصوص القيّمة لعبد القاهر الجرجاني التي تبين الاستلزام في باب الاستعارة قوله عنها: " إنك تثبت بها [أي الاستعارة] معنىٰ لا يعرف السامع ذاك المعنىٰ من اللفظ، ولكنه يعرفه من معنىٰ اللفظ "[٢].

ويأتي انتهاك هذه الأساليب لقاعدة (النوع) أو (الكيف) التي تشترط الصدق في الحديث؛ لأنَّ مستعملها يقدم معلومة ملتبسة يصعب تفسيرها، إذ لا يوجد هناك تطابق بين القول والقصد، إذ يقول المتكلم شيئًا ويخفي شيئًا آخر، فيتكون معنىٰ استلزامي مضمر، غير المعنىٰ الحرفي المعلن[٣] .

يتجلى ذلك في مواطن من الخطاب النبوي للنساء، من ذلك:

* قال البخاري: حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ

---

(١) الاستعارة: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة المشابهة بين المعنىٰ الأول الوضعي والثاني المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الأول. والمجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة غير المشابهة بين المعنىٰ الأول الوضعي والثاني المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الأول. والاستعارة التمثيلية: هي التركيب المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة المشابهة بين المعنىٰ الأول الوضعي والثاني المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الأول. والمجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلىٰ غير ما هو له لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي. ينظر: المفصل في علوم البلاغة العربية. عيسىٰ العاكوب:٤٥٢، ٥٠٠، ٥١٣، ٥٢٤، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٢١هـ.

(٢) دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١ه) :١/ ٤٣١. تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة/ جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

(٣) الاستعارة بين الدلالة والتداولية دراسة لسانية في الحديث النبوي. غصاب منصور الصقر: ١٠١ دار نشر جامعة قطر، كلية الآداب والعلوم، مجلة أنساق. المجلد:٣ العدد: ١، ٢٠١٩م

عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ (ﷺ)، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَىٰ»(١).

وقع الانزياح الكيفي في عبارته الأخيرة (ﷺ) «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَىٰ»؛ فالصدم" من الأمور الحسية، وهو "ضرب الشيء الصلب بمثله"(٢)، ولكن تم العدول عنه إلىٰ معنىٰ آخر، هو الصبر عند شدة المصيبة.

لقد عدل عن ذكر شدة المصيبة بصريح لفظها، إلىٰ التعبير عنها بلفظ " الصَّدْمَةِ الأُولَىٰ"، بغية إيضاح حقيقتها وتقريبها من الأذهان، واستلزم المقصود من السياق.

فالنبي (ﷺ) بهذه العبارة الموجزة يريد أن يقول لهذه المرأة الثكلىٰ التي فقدت صبيها وقد آلمها المصاب، وأجزعتها الفجيعة " أن الصبر الحقيقي عند شدة المصيبة وقوتها، وأن صاحبه يحمد ويثاب عليه في هذه اللحظة؛ لأن النفس إنما يشتد جزعها أو يكون ثباتها عند أول نزول البلاء. فمن الناس من يجزع ويفوت علىٰ نفسه فضيلة الصبر"(٣).

* قال البخاري: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَىٰ، عَنْ زَكَرِيَّاءَ هُوَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «لاَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور: ٢/ ٧٩ [١٢٨٣]. إليك عني: اسم فعل بمعنىٰ تنح وابعد. إنما الصبر: الكامل الأجر والثواب. الصدمة الأولىٰ: أول وقوع المصيبة.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم. أبو الحسن بن سيده(ت:٤٥٨): ٨/ ٢٩٣ تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ،٢٠٠٠م.

(٣) الخصائص البلاغية للبيان النبوي. محمد أبو العلا الحمزاوي:٦٩ مكتبة الرشد، ٢٠٠٧م.

يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»[١] .

وقع الانزياح الكيفي في قوله (ﷺ) " لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا "؛ فالصفحة وهي " إناء كالقصعة المبسوطة " [٢] توضع فيها الأطعمة علىٰ اختلاف أنواعها، لكن عدل عنه للدلالة علىٰ الحياة الزوجية وما يتصل بها.

وفي العدول عن ذكر الحياة الزوجية وما يتصل بها بصريح لفظها، إلىٰ التعبير عنها بلفظ " الصَّفْحة "، بغية إيضاح الحقيقة وتقريبها من الأذهان، من خلال بناءها في صورة مادية، متمثلة أمام المتلقي؛ لأنها مما يعاينه عادة في حياته اليومية، واستلزم المقصود من السياق.

إن المعنىٰ المستلزم من هذا العدول هو زجر المرأة أن تنفرد بما في صفحة أختها أي أن تستأثر بما كانت تحظىٰ به قبل طلاقها، " وقد عبر بالصفحة ليدل علىٰ نهم تلك المرأة إذ أقدمت علىٰ آنية أختها فأفرغتها من الطعام، وفي الطعام كما هو معلوم حياة للإنسان وفيه متعة أيضًا، وهذا بيان أن تلك المرأة قد أودت بحياة أختها ومنعتها طيب العيش حين دمرت حياتها الزوجية، كما أن في استفراغ الصفحة دليل علىٰ سلبها كل متعتها وحظوظها الزوجية مما يشير إلىٰ جشعها وقبح فعلها" [٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الشروط التي لا تحل في النكاح: ٧/ ٢١ [٥١٥٢]. لتستفرغ صحفتها: مَثَلٌ يُرِيدُ بِهِ الاستئثار عَلَيْهَا بحظِّها، فتكونُ كَمن اسْتَفرغ صَحْفَة غَيْرِهِ وقَلَب مَا فِي إنائِه إِلَىٰ إِناء نَفْسِه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣/ ١٣.

(٢) المطلع علىٰ ألفاظ المقنع. محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، عبد الله، شمس الدين (ت: ٧٠٩هـ):١/ ٣٩٢ تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب. مكتبة السوادي للتوزيع. الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٣ م.

(٣) الصورة الاستعارية في الحديث النبوي الشريف دراسة في متن (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) أنموذجًا. عائشة عبد الكريم الآفة. محمد ماجد العطائي: ١١٥ مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد: ٤١. جامعة البعث. حمص. سورية.

* قال البخاري: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ (ﷺ) ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا»(١) .

لقد وقع الانزياح الكيفي في عبارة رسول الله (ﷺ): " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ "؛ فهو (ﷺ) لم يسأل أسامة (رضي الله عنه) إن كان يشفع أو لا يشفع، فعدل عن الاستفهام الحقيقي إلىٰ معنىٰ الإنكار والتوبيخ، واستلزم المعنىٰ المقصود من السياق، وهو كراهية التشفع في حد من حدود الله، وإعلانه (ﷺ) العدل الكامل في الحقوق وإقامة الحدود بين المسلمين.

كما وقع الانزياح الكيفي في قوله (ﷺ): " لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا"؛ إذ عدل عن "كفَّها" إلىٰ "يدَها"، فالقطع في حدّ السرقة لا يحصل لكلّ يد الإنسان، وإنّما الذي يقطع من أطراف الأصابع إلىٰ مفصل الكفّ.

ويفهم من السياق المعنىٰ المستلزم وسبب العدول من " الكفّ " إلىٰ " اليد "، إذ المقصود المبالغة في تحقيق العدالة الراسخة في التشريع الإسلامي، فيعلن النبي (ﷺ) أنّه يعدل في الحقوق وإقامة الحدود حتّىٰ لو أنّ فاطمة ابنته التي لا أعزّ لديه منها

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِي الحَدِّ إِذَا رُفِعَ إِلَىٰ السُّلْطَانِ: ٨/ ١٦٠ [٦٧٨٨].

سرقت لنفَّذ فيها حكم الله بلا هوادة!

ثالثًا: انزياح المناسبة

ويقصد به عدول المتكلم عن قول ما يناسب الحوار مستلزمًا لمعنىٰ غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويفهم من السياق[1] .

ومنه التعريض، وأسلوب الحكيم، فالتعريض أن " تذكر شيئًا تدل به علىٰ شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: "جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلىٰ وجهك الكريم"[2].

وأسلوب الحكيم: " تلقي السائل بغير ما يتطلب "[3]. فكلاهما يدخل في باب الاستلزام الحواري وانزياح المناسبة؛ لعدول المتكلم عن المطلوب إلىٰ معنىٰ آخر مستلزم يفهم من السياق، وقرينته أن المعنىٰ المباشر لا يناسب السياق.

ومن مواطن وروده في الخطاب النبوي للنساء ما يلي:

* قال البخاري: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نَا أَحْمَدُ بْنُ طَارِقٍ الْوَابِشِيُّ قَالَ: نَا مَسْعَدَةُ بْنُ الْيَسَعِ قَالَ: ثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ (ﷺ) أَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ (ﷺ): «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ»، فَذَهَبَ نَبِيُّ اللهِ (ﷺ) فَصَلَّىٰ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ كَلِمَتِكَ مَشَقَّةً

---

(١) جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي: ٨٠.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ): ١/ ٢٨٣ دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

(٣) مفتاح العلوم. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت: ٦٢٦هـ): ٣٢٧ تحرير: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

وَشِـدَّةً، فَقَـالَ نَبِـيُّ اللهِ (ﷺ): «إِنَّ ذَلِـكَ كَـذَلِكَ، إِنَّ اللهَ إِذَا أَدْخَلَهُـنَّ الْجَنَّـةَ حَـوَّلَهُنَّ أَبْكَارًا»(١) .

ففي الحديث النبوي الشريف انزياح مناسبة في عبارته (ﷺ) «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ» فهو (ﷺ) لم يرد المعنىٰ المباشر منها، وهو نفي دخول هذه المرأة الجنة؛ لكونها عجوزًا، وإنما عدل عن هذا المعنىٰ إلىٰ معنىٰ آخر، ذكره لعائشة (رضي الله عنها) حين حادثته(٢) ، فقال (ﷺ): «إِنَّ اللهَ إِذَا أَدْخَلَهُـنَّ الْجَنَّةَ حَوَّلَهُنَّ أَبْكَـارًا»، فالله ينشئها خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا.

ولعل المعنىٰ المستلزم هو مزاح تلك العجوز وملاطفتها. قال ابن بطال (رحمه الله) وما روىٰ عن النبي (ﷺ): " أنه مازح عجوزًا فقال: "إن الجنة لا يدخلها عجوز" فأوهمها في ظاهر الأمر أنهن لا يدخلن أصلًا، وإنما أراد أنهن لا يدخلن الجنة إلا شبابًا، فهذا وشبهه من المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب" (٣).

---

(١) لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ قَتَادَةَ إِلَّا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ. ينظر: المعجم الأوسط. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفىٰ: ٣٦٠هـ): ٥/ ٣٥٧ [٥٥٤٥] المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد. عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

(٢) وفي رواية: فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ يَوْمَئِذٍ عَجُوزٌ إِنَّهَا يَوْمَئِذٍ شَابَّةٌ»، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة: ٣٥]. ينظر: البعث والنشور للبيهقي. أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ):٢١٧ تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦ م.

(٣) شرح صحيح البخاري. أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ):٨/ ٨٢ تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

* قال البخاري: حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، بِهَذَا، وَعَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، سَأَلَهُ نِسَاؤُهُ عَنِ الجِهَادِ، فَقَالَ: «نِعْمَ الجِهَادُ الحَجُّ»[1] .

هذا الحديث وقع فيه جواب الرسول (ﷺ) بغير ما تترقب السيدة عائشة (رضي الله عنها)، فعدل عن الجواب المنتظر: اخرجن للجهاد، لا تخرجهن للجهاد، إلىٰ بيان حكم الجهاد عليهن، فجاء جواب الرسول (ﷺ) ببيان أنه ليس بواجب، وأرشدهن إلىٰ الأولىٰ بهن، وأن جهادهن الحج.

فوقع انزياح المناسبة، عن طريق فن أسلوب الحكيم، غرضه بيان الأولىٰ.

قال ابن حجر في فتح الباري: قال ابن بطال:" دل حديث عائشة علىٰ أن الجهاد غير واجب علىٰ النساء، ولكن ليس في قوله: جهادكن الحج أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد وإنما لم يكن عليهن واجبًا، لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد"[2].

* قال مسلم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَىٰ، عَنْ عَمَّتِهِ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِلَىٰ جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَىٰ لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير بَابُ جِهَادِ النِّسَاءِ:٤/ ٣٢[٢٨٧٦].

(٢) فتح الباري لابن حجر: ٦/ ٧٦.

آبَائِهِمْ»[١].

في هذا الحديث جاء الأسلوب الحكيم ليحقق الانزياح بالمناسبة، فعدل (ﷺ) في جوابه عن المتوقع أو المرتقب، حيث قال لها: "أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ"، فلم يقل: أصبت أو أخطأت، تنبيهًا لها إلىٰ ما هو أهم وأولىٰ، مما يحتاج إلىٰ تأمل وتدبر.

* قال البخاري: عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَىٰ حِينَ اقْتَرَعَتْ الْأَنْصَارُ عَلَىٰ سُكْنَىٰ الْمُهَاجِرِينَ فَاشْتَكَىٰ فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ!

قَالَ: وَمَا يُدْرِيكِ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللهِ! قَالَ: أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنَ اللهِ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي ولا بكم.

قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَه»[٢].

في هذا الحديث النبوي الشريف انزياح المناسبة من خلال ما يعرف بالأسلوب الحكيم؛ حيث جاء حديثه لأم العلاء بخلاف ما كانت تترقبه، حين قالت: " رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ!" فقال لها رسول الله (ﷺ): "وَمَا يُدْرِيكِ؟ فقالت: لا أَدْري والله !"

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر بَابُ مَعْنَىٰ كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ:٤/ ٢٠٥٠ [٢٦٦٢].

(٢) أخرجه البخاري في كِتَابُ الشَّهَادَاتِ بَابُ الْقُرْعَةِ فِي الْمُشْكِلَاتِ:٣/ ١٨١ [٢٦٨٧].

وهذا يدل علىٰ أنها لم تكن تترقب و لا تتوقع هذا الكلام من الرسول (ﷺ)، كما أن جواب الرسول (ﷺ) كان فيه إرشاد إلىٰ الأولىٰ بالاهتمام والأجدر بالتدبر في مثل هذا الحال؛ حيث قال لها : أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنْ اللهِ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ".

ويستلزم هذا العدول مقصودًا يفهم من السياق، وهو بثّ العقيدة الثابتة، وغرس التوحيد وتعظيمه في نفوس أصحابه (رضي الله عنهم) كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساء، فرادىٰ وجماعات، فبيَّن أنه – وهو الرسول الذي يأتيه الوحي من الله – لا يدري من ذلك شيئًا إلا أن يخبره الله به.

رابعًا: انزياح الأسلوب

وفيه يتم الانزياح عن إحدىٰ القواعد الفرعية لمبدأ التعاون وهي قاعدة الأسلوب، التي تقوم علىٰ الوضوح وعدم الازدواجية في نقل المعلومات إلىٰ المتكلم.

وهو: " عدول المتكلم عن القول الواضح، مستلزمًا لمعنىٰ غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويفهم من السياق "[1].

ومنه الكناية، وهي: " ترك التصريح بذكر الشيء إلىٰ ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلىٰ المتروك، كما نقول فلان(طويل النجاد) لينتقل منه إلىٰ ما هو ملزوم وهو طول القامة"، فشرط فيها أن تبني علىٰ المعنىٰ الحرفي لتصل إلىٰ المعنىٰ المستلزم، ولهذا يقول الدسوقي: " لابد للكناية أن تصحبها قرينة تمنع من إرادة المعنىٰ الحقيقي "[2].

---

(١) جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي:٨٧.

(٢) حاشية الدسوقي للتفتازاني: ٣/ ٤٩٧.

وكذلك من انزياح الأسلوب الإيهام (التورية)، حيث يعدل المتكلم إلىٰ لفظ يحتمل معنيين: معنىٰ مباشرًا قريبًا غير مقصود ، ومعنىٰ بعيدًا غير مباشر هو المقصود، يقول السكاكي : " أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد، فيذكر لإيهام القريب في الحال علىٰ أن يظهر أن المراد به البعيد " (١).

ومن مواطن ورود انزياح الأسلوب في الخطاب النبوي للنساء ما يلي:

* حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، ثنا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: حَمَلَتْ أُمُّ الْفَضْلِ فِي الشِّعْبِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تُبَيِّضَ وُجُوهَنَا بِغُلَامٍ»، فَوَلَدَتْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ(٢) .

في الحديث الشريف ذكر رسول الله (ﷺ) البياض للوجه، وهو مما يلائمه، وهذا هو المعنىٰ الظاهر القريب، لكنه عدل عنه مريدًا بياض الوجه الناتج عن طمأنينة النفس، وتحقق ما تسكن به العين فلا تطمح إلىٰ غيره.

ولعل هذا ما تفسره رواية الطبري في المعجم الكبير في باب أحاديث عبد الله بن العباس، " عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) وَأَهْلُ بَيْتِهِ فِي الشِّعْبِ، أَتَىٰ أَبِي النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا أَرَىٰ أُمَّ الْفَضْلِ إِلَّا قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ حَمْلٍ، قَالَ: " لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُقِرَّ أَعْيُنَنَا مِنْهَا بِغُلَامٍ»، فَأُتِيَ بِيَ النَّبِيَّ (ﷺ) وَأَنَا فِي خِرْقَتِي، فَحَنَّكَنِي. قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا نَعْلَمُ أَحَدًا حُنِّكَ بِرِيقِ النُّبُوَّةِ غَيْرَهُ "(٣).

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي:٤٢٧.

(٢) المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ): باب أحاديث عبد الله بن عباس ١٠/ ٢٣٢ [١٠٥٦٥] المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

(٣) المصدر السابق:١٠/ ٢٣٣ [١٠٥٦٦].

ويبدو أن المعنىٰ المستلزم يوضح منزلة ابن عباس ومكانته عند رسول الله (ﷺ) وعند الأمة الإسلامية، وكيف لا! وهو الذي أدناه منه رسول الله (ﷺ) وهو طفل وربّت علىٰ كتفه وهو يقول:" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

* حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ مَوْلَىٰ الْأَسْوَدِ بْنِ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ»، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ، ثُمَّ قَالَ: «تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَىٰ تَضَعِينَ ثِيَابَكِ، فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي»، قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ»، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ(١).

الانزياح لقاعدة الأسلوب كان من خلال قول الرسول (ﷺ): «أَمَّا أَبو جَهْم فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ». ففيه معنىٰ استلزامي مضمر، غير المعنىٰ الحرفي المعلن، هو (كثرة الأسفار)، أو (كثرة ضربه لنسائه)(٢) ، أفاد إيضاح صفة أبي جهم في صورة حسية مشاهدة، وكيف يتصف بالقسوة وقلة الصبر والتحمّل.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق. بَابُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لَهَا:٢/ ١١١٤ [١٤٨٠].

(٢) رجَّح النووي صفة "كثير الضرب للنساء" يقول: " وَهَذَا أَصَحُّ بِدَلِيلِ الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ بَعْدَ هَذِهِ أَنَّهُ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ". ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ):١٠/ ٩٧ باب المطلقة البائن لا نفقة لها. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ه. أما رواية مسلم في كتاب الطلاق. بَابُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لَهَا: " وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ":٢/ ١١١٩ [١٤٨٠].

وفهم العدول عن المعنىٰ الحرفي المباشر إلىٰ المعنىٰ المستلزم من السياق؛ إذ لو حُمِل المعنىٰ علىٰ الأصل الظاهر الذي يعنيه هذا القول " فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ" فلا شيء فيه ممّا يرغِّب عن زواجه؛ إذ يكون كثير الترحال، أو راعيًا جادًّا في عمله – ويستعين بالعصا علىٰ الرعاية–، أو يتوكّأ عليها، أو يكون له فيها مآرب أخرىٰ.

لكن السياق حمل التوجيه النبوي لهذه المرأة بنكاح أسامة بن زيد، فتبيّن لها أنَّ المراد بعدم فراق العصا للعاتق صفة مذمومة تصرف المرأة عن زواج ذلك الرجل، أو تجعله مفضولًا بالنسبة لغيره علىٰ الأقلّ، وهناك تشتاق لمعرفة الحقيقة المرادة، وتتجلّىٰ لها، بعد التفكير والتدبّر للكلام، أنّ التعبير بالقول بأنّ "العصا لا تفارق عاتقه" يعنىٰ به أنّه كثير الضرب والتعذيب للنساء، قليل التحمّل في معاملتهنّ، وبعد أن تعلم هذا المراد تبيّنت لها حكمة وصية النبي (ﷺ) لها بزواج زيد، ذلك الرجل الذي لا عنت فيه ولا قسوة.

* قال البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ (ﷺ)قَالَتْ: جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ القُرَظِيِّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا جَالِسَةٌ، وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ تَحْتَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلاَقِي، فَتَزَوَّجْتُ بَعْدَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ، وَإِنَّهُ وَاللهِ مَا مَعَهُ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ الهُدْبَةِ، وَأَخَذَتْ هُدْبَةً مِنْ جِلْبَابِهَا، فَسَمِعَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ قَوْلَهَا وَهُوَ بِالْبَابِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، قَالَتْ: فَقَالَ خَالِدٌ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلاَ تَنْهَىٰ هَذِهِ عَمَّا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ؟ فَلاَ وَاللهِ مَا يَزِيدُ رَسُولُ (ﷺ) عَلَىٰ التَّبَسُّمِ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَىٰ رِفَاعَةَ، لاَ، حَتَّىٰ يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ وَتَذُوقِي

عُسَيْلَتَهُ»[1] .

وقع انزياح الأسلوب في عبارة رسول الله (ﷺ) "، حَتَّىٰ يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ وَتَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ"؛ حيث عدل (ﷺ) عن التصريح بلفظ الجماع ونحوه إلىٰ التعبير عنه بأحد لوازمه وهو العسيلة، واستلزم المقصود من السياق.

المعنىٰ المستلزم هو ذلك المعنىٰ المعدول إليه، مزيدًا إليه ما أضافه من دلالات، وتظهر فنية هذه الدلالات في مناسبتها السياق من ناحية، والغرض من ذلك الانزياح من ناحية، ومسوغ ذلك العدول من ناحية ثالثة.

أما مناسبتها السياق فإن المتلقي يظل في احتياج لمعرفة ما وراء ملفوظات: "الهدبة-التذوّق-العسل" وما علاقتها بالموضوع، ويظل متشوقًا حتىٰ يصل إلىٰ المراد من ذلك الانزياح الأسلوبي، الذي يكمن غرضه في التلطف في العبارة، والتأدب فيما ينبغي الستر فيه، والحياء من ذكره والتصريح به.

وأما مسوغ العدول والانزياح فإن العسيلة إحدىٰ لوازم الجماع وثمراته، قال القرطبي: "وذوقُ العسيلة كناية عن الجماع تشبيهًا للذة الجماع بلذة العسل في الحلو والاستمتاع".

* قال البخاري: حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ فِرَاسٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قُلْنَ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا؟ قَالَ: «أَطْوَلُكُنَّ يَدًا»، فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا

(١) أخرجه البخاري في كِتَابُ اللباس بَابُ الإزار المهدب:٧/ ١٤٢[٥٧٩٢].

لُحُوقًا بِهِ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ[1] .

وقع الانزياح الأسلوبي في قوله (ﷺ): «أَطْوَلُكُنَّ يَدًا»؛ إذ عدل فيه (ﷺ) عن الوضوح المتحقق في المعنىٰ الحرفي، وهو طول اليد (الجارحة) الحقيقي، الذي سبق فهمه إلىٰ أزواج النبي الله (ﷺ)، "فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا"، " فلما لم تتوف سودة (رضي الله عنها) وكانت أطولهن يد الجارحة، وتوفيت زينب قبلهن علمن أنه (ﷺ) لم يرد طول اليد علىٰ الحقيقة. وإنما أراد بذلك كثرة الصدقة.

إن المعنىٰ المعدول إليه هو كثرة الصدقة والكرم قد فهم من السياق، الذي هو في مقام النصح، لأن الرسول (ﷺ) قصد من قوله "أطولكن يدًا" أكثركن صدقة؛ وقد نالت-فيما بعد-مزية سرعة اللحوق به (ﷺ) زينب (رضي الله عنها)؛ لأنها كانت تحب الصدقة أكثر من بقية أزواجه.

لقد أراد (ﷺ) حض أزواجه بصورة خاصة علىٰ الصدقة لما فيها من الأجر العظيم، والمؤمنين بصورة عامة، وهذا الحديث من الأحاديث التي عني بها المتقدمون من حيث بلاغته فقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلىٰ أنه تلويح يريد به الرسول (ﷺ)

---

(١) أخرجه البخاري في كِتَابُ الزَّكَاةِ. بَابُ فَضْلِ صَدَقَةِ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ:٢/ ١١٠ [١٤٢٠].
يذرعونها: يقدرنها بذراع كل واحدة منهن كي يعلمن أيهن أطول يدا من غيرها ظنا منهن أن المراد طول اليد حقيقة.
يقول القسطلاني: "الزوجة التي عناها (ﷺ) بقوله: "أطولكن يدًا" متعين؛ لقيام الدليل علىٰ أنها زينب بنت جحش كما في مسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة بلفظ: فكانت أطولنا يدًا زينب بنت جحش؛ لأنها كانت تعمل وتصدّق، مع اتفاقهم علىٰ أنها أولهن موتًا، فتعين أن تكون هي المرادة. شرح صحيح البخاري للقسطلاني:٣/ ٢٢. وينظر: صحيح مسلم. بَابُ مِنْ فَضَائِلِ زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا): ٤/ ١٩٠٧ [٢٤٥٢].

السخاء والجود وبسط اليد بالبذل"[١].

وأما مسوغ العدول عن طول اليد إلىٰ الصدقة؛ "لأن الأغلب أن يكون ما يعطيه الإنسان غيره من الرفد والبرّ أن يعطيه ذلك بيده فسمىٰ النيل يدًا"[٢]، قال النووي: قال أهل اللغة يقال فلان طويل اليد وطويل الباع إذا كان سمحا جوادا، وهذا قصير الباع واليد"[٣].

(١) أسرار البلاغة في علم البيان. عبد القاهر الجرجاني:٣٠٨ علق حواشيه: السيد محمد رضا رشيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٨م.

(٢) المجازات النبوية. أبو الحسن محمد الشريف الرضي (ت: ٤٠٦ه):٦٦ مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٥/ ٢٩٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، سيد الخلق، ومصطفاه.

وبعد:

فقد حاول البحث تسليط الضوء علىٰ الخطاب النبوي للنساء، والكشف عن بعض أغراضه الإنجازية، ومعانيه المباشرة والضمنية، وبيان الوسائل التي احتواها الخطاب للتأثير في المخاطِبات، في ضوء نظريتي الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري.

فقام البحث ببيان الخطاب النبوي، والتداولية، وأشهر نظرياتها ومفاهيمها الإجرائية، كما تناول الدرس التداولي في الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري من خلال الخطاب النبوي للنساء، وقد أكد البحث علىٰ بعض الحقائق، وتوصل إلىٰ بعض النتائج، وذلك علىٰ النحو التالي:

١- من خصائص الخطاب النبوي أن تفرّد بالاطراد والقبول والجدّة، والاحتفاظ بالنضارة علىٰ مر العصور، مهما اختلفت سياقات تلقيه، وتفاوتت وتباينت مناحي دراسته، ومن ثمّ اتخذت التداولية منه ميدانًا للبحث واستجلاء المعاني المؤداة، والكشف عن مقاصده.

٢- بناءً علىٰ ما ذُكر في الخطاب النبوي للنساء من الأفعال الكلامية في مواطن التقرير، والتوجيه، والتعبير، والإعلان، والوعد فإن النبي (ﷺ) كان خير موجّه ومرشد لكل من تلقَّىٰ منه وسمع، وكان -بما لا يدع مجالًا للشك-علىٰ معرفة بأحوال المتلقين، ومقامات الكلام وسياقاته المختلفة، فصار حديثه نصًا مقدسًا يواءم دعوته التي كانت للبشر كافة، ورسالته التي كانت ختام الرسالات إلىٰ قيام الساعة.

٣- بين الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية غير المباشرة علاقة وطيدة اختلف الدارسون في تكييفها، ومرجع هذه العلاقة الوطيدة إلىٰ عدة أشياء: فكلاهما يدرس

ظاهرة واحدة وهي قصد المتكلم ما لم يقله، والمؤسّسان لهما ينتميان إلىٰ مدرسة فكرية واحدة، بل متعاصران كذلك، واستعار سيرل من جرايس" آلية الانتقال من المعنىٰ الحرفي إلىٰ المعنىٰ المقصود مع تصريحه بذلك.

٤- ثراء الخطاب النبوي للنساء بأساليب انزياح الاستلزام الحواري الأربعة: الانزياح الكمي (بالزيادة والنقصان)، والانزياح الكيفي، وانزياح المناسبة، وانزياح الأسلوب.

٥- تمثلت أساليب الانزياح في الخطاب النبوي للنساء علىٰ النحو التالي:

- وردت أساليب الانزياح الكمي في الزيادة عن طريق التكرار، والنقصان عن طريق الإبهام والحذف، كما في (ما) التعظيمية، وحذف جواب الشرط.
- جاءت أساليب الانزياح الكيفي من خلال الاستعارة، والمجاز المرسل.
- تمثلت أساليب انزياح المناسبة في التعريض وأسلوب الحكيم.
- وقع انزياح الأسلوب من خلال الكناية والتورية.

ومن توصيات البحث:

١- توجيه الباحثين والباحثات نحو المزيد من الدراسات التداولية حول الخطاب النبوي للنساء؛ إذ يمثل مادة خصبة لتلك الدراسات، فحوىٰ نصوصًا تحمل عناصر إشارية، وحجاج، ومتضمنات قول، وغيرها من العوامل الإجرائية التي تخدم الدرس التداولي.

٢- استثمار التداولية في حقل تعليمية اللغة العربية، والاستفادة مم تمده به هذه المنهجية الحديثة من آليات تسهم في تطويره وتعالج جوانب القصور فيه، فقد اهتمت التداولية بالكفاية التواصلية، وتعليمية اللغات إنما هي عملية قصدية تواصلية.

هذا وأساله سبحانه السداد والتوفيق

الباحثة

المصادر والمراجع

١- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي. نادية رمضان النجار. مؤسسة حورس الدولية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٣م.

٢- الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد. عبد الله بن صالح المحسن. الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

٣- الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية باب الذكر والدعاء أنموذجًا. حورية رزقي عبد الحق. جامعة محمد خيضر، ٢٠٠٦م.

٤- الإحالة في نحو النص. أحمد عفيفي. كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية: العربية بين نحو الجملة ونحو النص. كلية دار العلوم ٢٢-٢٣ فبراير، ٢٠٠٥م.

٥- الإحكام في أصول الأحكام. أبو محمد بن حزم الأندلسي(المتوفي:٤٥٦ه). دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤ه.

٦- أساليب بلاغية. أحمد مطلوب أحمد الرفاعي. وكالة المطبوعات -الكويت الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٠م.

٧- استراتيجيات الخطاب النبوي الشريف من خلال صحيح البخاري. نميسي آمال. دليل الآداب واللغات. مجلد:١، عدد:٢. الجزائر. ٢٠٢٢م.

٨- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٤م.

٩- الاستعارة بين الدلالة والتداولية دراسة لسانية في الحديث النبوي. غصاب منصور الصقر. دار نشر جامعة قطر، كلية الآداب والعلوم، مجلة أنساق. المجلد:٣ العدد: ١، ٢٠١٩م.

١٠- الاستلزام الحواري في الحديث الشريف صحيح البخاري أنموذجًا دراسة

وصفية تداولية. أسماء درنوني. أطروحة الدكتوراه في اللسانيات واللغة العربية، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة، الجزائر،٢٠٢٢م.

١١- الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقاربة تداولية في آيات سورة البقرة. عيسىٰ تومي. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. المجلد الثامن، العدد الأول، ٢٠١٩م.

١٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي. تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٢م.

١٣- أسرار البلاغة في علم البيان. عبد القاهر الجرجاني. علق حواشيه: السيد محمد رضا رشيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٨م.

١٤- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. عبد الحميد الصيد الزنتاني. الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

١٥- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. إبراهيم محمد عصام الدين الحنفي الأسفراييني (ت:٩٤٣ه). حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين. أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية (المتوفي:٧٥١ه). تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١م.

١٧- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

١٨- الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية. مسعود صحراوي. مجلة اللغة العربية، العدد:١٠ المجلس الأعلىٰ للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٤م.

١٩- الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية. محمد مدور.

أطروحة دكتوراه مقدمة إلىٰ قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٤م.

٢٠- الاقتضاء في التداول اللساني. عادل الفاخوري. مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩م.

٢١- أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك. جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري. راجعه: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٢- البحث اللساني والسيميائي. طه عبد الرحمن. ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ١٤٠٤ه.

٢٣- البراغماتية وعلم التركيب. عثمان بن طالب. الملتقىٰ الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٨٥م.

٢٤- البعث والنشور للبيهقي. أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ). تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦ م.

٢٥- البعد التداولي في الخطاب القرآني (سورة يوسف نموذجًا). كاروان باقي عبد الكريم. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية.المجلد:٣، العدد:١ جامعة إسطنبول. تركيا. ٢٠٢٢م.

٢٦- البلاغة والتداولية. هناء حلاسة. مجلة كلية الآداب واللغات، العدد:٢٢ جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٢م.

٢٧- البلاغة والتداولية. هناء حلاسة. مجلة كلية الآداب واللغات، العدد:٢٢جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٢م.

٢٨- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. مؤسسة التاريخ العربي،

بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٠م.

٢٩- تحليل الخطاب اللغوي في رسائل الفرق الإسلامية في العصر الأموي. أمل بدر أحمد أبو صعيليك. الجامعة الهاشمية، الزرقاء، ٢٠٠٧م.

٣٠- التداوليات علم استعمال اللغة. حافظ اسماعيلي علوي. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع. إربد. الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.

٣١- التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس. عيد بلبع: مجلة فصول، القاهرة، ربيع ٢٠٠٥م.

٣٢- التداولية اليوم علم جديد في التواصل. آن روبول وجاك موشلار. ترجمة د. سيف اليد دغفوش، ود. محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.

٣٣- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي. مسعود صحراوي: ٢٦ دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٥م.

٣٤- التداولية من أوستين إلىٰ غوفمان. فيليب بلانشيه. ترجمة: صابر الحباشة. دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٧م.

٣٥- التداولية. جورج يول، ترجمة: قصي العتابي: ١٣٧الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٠م.

٣٦- التفسير الحديث. محمد عزت دروزة: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٣٧- تنبيه المعلم بمبهمات صحيح مسلم. أبو ذر سبط ابن العجمي (المتوفي:٨٨٤ه). تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٤م.

٣٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم

وسننه وأيامه. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولىٰ، ١٤٤٢ه.

٣٩- جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. عبد المنعم عبد الله السيوطي. رسالة دكتوراه. جامعة عين شمس. كلية الآداب. قسم اللغة العربية وآدابها. ٢٠٢٠م.

٤٠- حاشية الدسوقي علىٰ مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت:٩٧٢ه). محمد بن عرفة الدسوقي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية، بيروت.

٤١- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي. محمد نظيف. أفريقيا الشرق. المغرب، ٢٠١٠م.

٤٢- الخصائص البلاغية للبيان النبوي. محمد أبو العلا الحمزاوي. مكتبة الرشد، ٢٠٠٧م.

٤٣- الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والخطاب. محمد عبد الحميد عبد الواحد. جامعة المدينة العالمية. كلية اللغات. قسم اللغة العربية. ماليزيا. ٢٠١٤م.

٤٤- الخطاب النبوي للمرأة في ضوء اللسانيات الاجتماعية. صحيح مسلم نموذجًا. محمود محمد عيسىٰ قدوم. رسالة ماجستير في اللغويات. الجامعة الهاشمية. ٢٠٠٩م.

٤٥- خطاب النبي (ﷺ) للمرأة المسلمة دراسة حديثية موضوعية. عزيزة بنت لهيلم بن رحيل العنزي. رسالة ماجستير. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة القصيم، ٢٠١٧م.

٤٦- الخطاب والتأويل. نصر حامد أبو زيد. المركز الثقافي العربي. المغرب.

الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م.

٤٧- الدرر السنية إشراف: علوي بن عبد القادر السقاف. مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة. https://dorar.net/hadith/sharh/20158.

٤٨- دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١ه). تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة/ جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

٤٩- دور التداولية في الدرس اللغوي. أحمد شكيب بكري. مجلة الأثر، العدد:٣٢، ديسمبر٢٠١٩م.

٥٠- سبل السلام شرح بلوغ المران. محمد بن إسماعيل الصنعاني (المتوفي:١١٨٢ه). تحقيق: عصام الصبابطي، عماد السيد دار الحديث، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.

٥١- سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني (المتوفي:٢٧٣ه) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. فيصل عيسى البابي الحلبي.

٥٢- سنن ابن ماجه. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣ه). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٥٣- سنن أبي داود. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٥٤- سورة الأنعام دراسة تداولية لأفعال الكلام والاقتضاء التخاطبي. نور وليد عبد صالح. الأردن، ٢٠١٣م.

٥٥- شرح سنن أبي داود. أبو محمد محمود العيني(المتوفي:٨٥٥ه). تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٥٦- شرح صحيح البخاري. أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ). تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٥٧- شروح التلخيص. مختصر العلامة سعد الدين التفتزاني علىٰ تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ومواهيب الفتاح في شرح تلخيص الفتاح لأبي يعقوب المغربي وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ه). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م.

٥٩- الصورة الاستعارية في الحديث النبوي الشريف دراسة في متن (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) أنموذجًا. عائشة عبد الكريم الآفة. محمد ماجد العطائي. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد: ٤١. جامعة البعث. حمص. سورية.

٦٠- العقل واللغة والمجتمع. جون سيرل. ترجمة: سعيد الغانمي منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٦م.

٦١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. أبو محمد بدر العيني (المتوفي: ٨٥٥ه). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أبو الفضل العسقلاني. رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطب عليه تعليقات العلامة ابن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.

٦٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. رقّم

كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.

٦٤- الفعل الكلامي في كتاب الفرائض والحدود من صحيح البخاري دراسة لغوية تداولية. نجود إسماعيل رافع العنزي. مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، المجلد:٦، العدد:١ مارس، ٢٠٢٤م.

٦٥- فقه الأدعية والأذكار. عبد الرازق بن عبد المحسن البدر. الكويت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٦٦- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. طه عبد الرحمن.المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٦٧- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. خليفة بوجادي. بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.

٦٨- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. خليفة بوجادي. بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.

٦٩- في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء. نواري أبو زيد. بيت الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.

٧٠- في ظلال القرآن. سيد قطب. دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة:١٧، ١٤١٢ه.

٧١- فيض الباري علىٰ صحيح البخاري. محمد أنور شاه الكشميري. تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٥م.

٧٢- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، وآن ريبول. دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

٧٣- كتاب «الأصنام» لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي (المتوفي:٢٠٤ه).

تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م.

٧٤- كتاب الحروف. أبو نصر الفارابي. تحقيق: محسن مهدي دار المشرق، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

٧٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ). دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

٧٦- لسان العرب لجمال الدين محمد مكرم بن منظور. تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦م.

٧٧- لسان العرب. محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفىٰ: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة -١٤١٤هـ.

٧٨- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. المغرب. الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٨م.

٧٩- لسانيات النص مدخل إلىٰ انسجام الخطاب. محمد خطابي. المركز الثقافي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١م.

٨٠- اللغة والفعل الكلامي والاتصال مواقف خاصة بالنظرية اللغوية. زيبيلة كريمر. ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولىٰ،٢٠١١م.

٨١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير. تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي بطانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

٨٢- المجازات النبوية. أبو الحسن محمد الشريف الرضي (ت: ٤٠٦ه). مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٦٧م.

٨٣- مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٩٨٦م.

٨٤- المحكم والمحيط الأعظم. أبو الحسن بن سيده(ت:٤٥٨). تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٠م.

٨٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (المتوفي:٧٥١ه). دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ه.

٨٦- مدخل إلىٰ اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها. ترجمة: محمد يحياتن. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦م.

٨٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٨- المطلع علىٰ ألفاظ المقنع. محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، عبد الله، شمس الدين (ت: ٧٠٩هـ). تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب. مكتبة السوادي للتوزيع. الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٣ م.

٨٩- المعجم الاشتقاقي المؤصل مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها. د. محمد حسن جبل. مكتبة الآداب. القاهرة، الطبعة الأولىٰ:٢٠١٠م.

٩٠- المعجم الأوسط. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفىٰ: ٣٦٠هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد. عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

٩١- المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٩٢- معجم المصطلحات اللغوية. رمزي البعلبكي. دار العلم للملايين، بيروت،

لبنان ١٩٩٠م.

٩٣- المعجم الوسيط المؤلف. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. إبراهيم مصطفىٰ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. دار الدعوة.

٩٤- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسىٰ الكفوي. تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٩٥- معرفة اللغة. جورج يول. ترجمة: محمد فراج عبد الحافظ. دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٠م.

٩٦- مفتاح العلوم. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت: ٦٢٦ه). تحرير: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٩٧- المفصل في علوم البلاغة العربية. عيسىٰ العاكوب. منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٢١هـ.

٩٨- المقاربة التداولية. فرنسواز أرمينكو. ترجمة: د. سعيد علوش. مركز الإنماء القومي. الرباط. ١٩٨٦م.

٩٩- مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٩٧٩م.

١٠٠- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري. راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق -الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٠ م.

١٠١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ). دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية،١٣٩٢ه.

١٠٢- نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية. محمود أحمد نحلة. مجلة الدراسات

اللغوية، مجلد: ١، العدد: ١، ١٩٩٩م.

١٠٣- نسيج النص بحث فيما يكون الملفوظ به نصًا. الأزهر الزناد. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٣م.

١٠٤- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. هاشم طبطبائي. مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.

١٠٥- نظرية التلويح الحواري. هشام إبراهيم عبد الله الخليفة. مكتبة لبنان، ناشرون، ٢٠١٣م.

١٠٦- نظرية المعنىٰ في فلسفة بول جرايس. صلاح إسماعيل. دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٠٧- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الأثير الجزري (المتوفي:٦٠٦ه): تحقيق: طاهر أحمد، محمود الطناحي: المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

١٠٨- الوظائف التداولية في اللغة العربية. أحمد المتوكل. دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٥م.

الفهرس

المحتوى	الصفحة
المقدمة	٣٩٥
التمهيد: الخطاب النبوي والتداولية	٣٩٩
الخطاب النبوي	٣٩٩
التــداوليــة	٤٠٢
١ -التداولية لغة.	٤٠٢
٢-التداولية اصطلاحًا	٤٠٤
أشهر نظريات التداولية ومفاهيمها الإجرائية.	٤٠٧
أولًا: الأفعال الكلامية.	٤٠٧
ثانيًا: الاستلزام الحواري	٤١١
ثالثًا: متضمنات القول	٤١٤
رابعًا: الإشاريات	٤١٥
المبحث الأول: الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي للنساء	٤٢٠
أولًا: الأفعال الكلامية المباشرة.	٤٢١
الإخباريات	٤٢١
التوجيهيات	٤٢٦
التعبيريات	٤٣٣
الوعديات	٤٣٥
الإعلانيات	٤٤٠
ثانيًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة.	٤٤٤
المبحث الثاني: الاستلزام الحواري في الخطاب النبوي للنساء	٤٤٦

المحتوى	الصفحة
أولًا: الانزياح الكمي	٤٤٧
انزياح الزيادة	٤٤٧
انزياح النقصان.	٤٤٨
ثانيًا: الانزياح الكيفي	٤٥٣
ثالثًا: انزياح المناسبة	٤٥٨
رابعًا: انزياح الأسلوب.	٤٦٢
الخاتمة	٤٦٩
المصادر والمراجع	٤٧١
الفهرس	٤٨٣